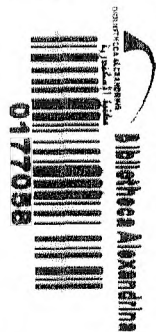
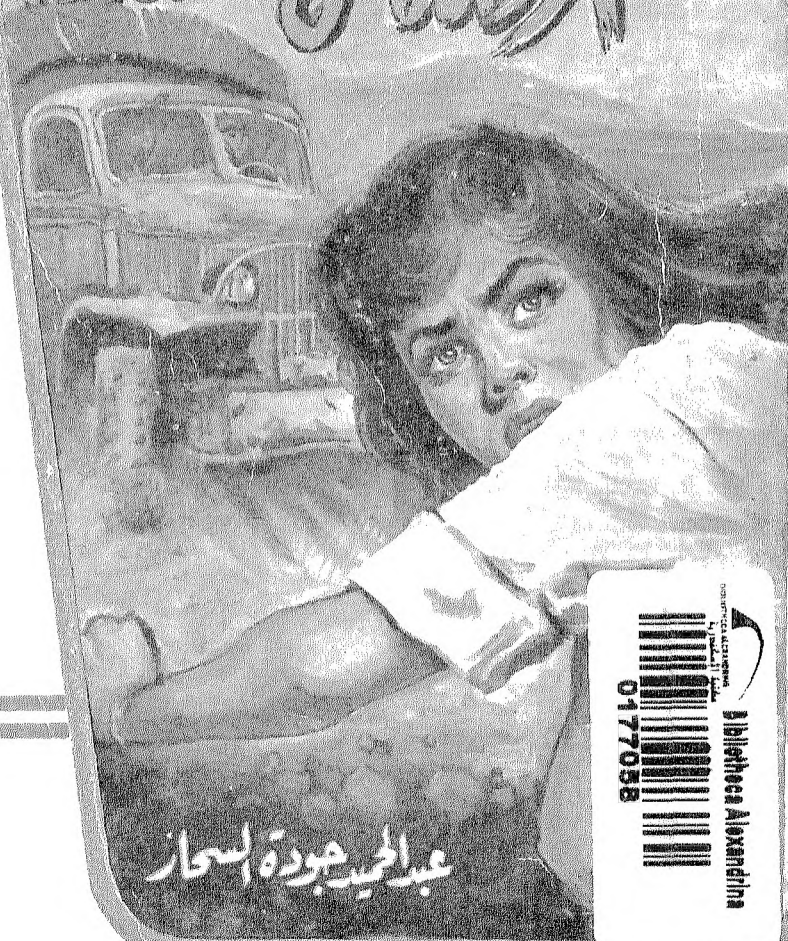


دار الكتب  
والمكتبات  
بمصر  
مركز الفنون

# الرحلة من فلسطين



# الكتاب الفضي

سلسلة شهرية تصدر عن نادي الفضة

في الخامس من كل شهر

رئيس التحرير : يوسف السباعي

الدير العام، من ايراني

العدد ٢٥

ديسمبر ١٩٥٩ - جمادى الآخرة ١٣٧٩ - كانون أول ١٩٥٩

التحرير والادارة : ٤٧ شارع نجيب الريحاني - القاهرة

ص.ب ٣٢٨ - القاهرة ت ٤٨٦٦٩

**الاشتراكات :** ١٠٠ قرش عن سنة ( ١٢ عددا ) في داخل  
اقليم مصر والسودان وما يعادل ١٢٠ قرشا عن سنة في  
الاقطار العربية .

**التوزيع :** في داخل اقليم مصر « الشركة العربية  
للطباعة والنشر والتوزيع » ٤٧ شارع نجيب الريحاني - القاهرة  
وفي الاقطار العربية : الشركة العربية للتوزيع ببيروت ومكتبة  
المثنى (قاسم الرجب) ببغداد . وشركة الصحافة السعودية بجدة

# الكتاب الفضي



سلسلة شهرية تصدر عن نادي الفنون  
الناشر: الشركة العربية للطباعة والنشر

**جميع الحقوق محفوظة للمؤلف**

عبد الحميد جودة السحار

# أرسله من فلسطين





## ارملة من فلسطين

اقتربت المضيفة من على ، وكانت ترتدى ثوبا في زرقة السماء الصافية ، فصل على هيئة شوال ، استعدادا لخدمة ركاب الطائرة ، فأشار لها اشارة خفيفة ، فخفت اليه مبتسمة تسأله عن حاجته فطلب فنجان قهوة سادة ، وانطلقت المضيفة بقامتها الفارعة الى مطبخها الصغير الأنيق وثوبها يتثنى في الفراغ بين الاكتاف والأرداف فيجسم مفاتها الصارخة .

والفتت على عن يساره فوقعت عيناه على امرأة سمراء البشرة ، عسلية العينين ، يحدهما من أسفل هلال اسود ، ترتدى ثوبا كحليا من قطعتين ، وراحت تقرأ في كتاب « البنات والصيف » وقد تركت المقعد الذي يفصل بينه وبين على الممشى الضيقة خاليا ، وجلست في المقعد التالي له ، ووضعت المجلات الأخرى التي كانت تحملها في الجيب المشقوق في ظهر المقعد الذي كان أمامها .

وعادت المضيفة تحمل فنجان القهوة وفنجان شاي ، ووضعت القهوة أمام على ، ووضعت الشاي أمام السيدة السمراء التي كانت مسححة من الأسى تكسو وجهها . وأخذ على يحتسى القهوة ولمح من طرف عينه السيدة السمراء تخرج من حافظتها زجاجة صغيرة ،

نضع منها بعض قطرات في حرص في الشاي ثم تعيدها الى مكانها .  
 وأسترخى على في مقعده ، والتقت عيناه أكثر من مرة بعيني  
 السيدة ، وقرأ في نظراتها نداء أحس وقعه في فؤاده ، كان نداء غريبا  
 على مشاعره لم يعرف تأويله ، وظل حائرا مدة في تفسيره ، ولم يخطر  
 له على قلب أنه نداء يشوبه ظل من الجنس ، فقد كان البريق المشع  
 من عينيها يحرك الجوانب الطيبة في نفسه .

وهبطت الطائرة في مطار بنينه ، وأسرع على الى الاستراحة ،  
 دون أن يلتفت الى السيدة ، كان الجو حارا ، والمكان مكتظا بالإيطاليين  
 والأمريكان ، والمراوح القليلة المتدلية من السقف عاجزة عن تخفيف  
 عرقه المتصعب ، فأخرج منديله وراح يمرره على وجهه ورقبته  
 وقفاه .

وأقبل الجرسون الليبي ووقف أمامه ، فقال على :  
 - قهوة جدجد -

ومس الطلب اذنى شاب جلس بالقرب منه ، فالتفت اليه في  
 فضول ، وفطن على الى ما في نظرات الشاب من تساؤل ، فابتسم  
 له وقال :

- هذه اول مرة تزور فيها ليبيا ؟

فقال الشاب في راحة :

- نعم ، ولن امكث فيها طويلا .

- الا تشرب شيئا ؟

- شكرا .

- اعرف ان ليس معك نقود ليبية بعد ، لا تهتم بذلك ، معي

نقود ليبية كثيرة ، اننى اعمل هنا من ثلاث سنوات .



- وأشار على الى الجرسون أن تعال ، ولما جاء قال على للشاب :
- أتشرب « بمبه » أم قهوة جدد ؟ ! .
- وبانت الدهشة في وجه الشاب ، لم يدر ماذا يختار ، ولم يتركه على لحيرته بل قال :
- قهوة جدد أى قهوة « قدقد » أى سكر « ع الريحه »
- فما رأيك ؟
- أهى مثل القهوة المصرية ؟
- لا انها قهوة بنها مجروش ، لن تعجبك .. افضل لك « بمبه » .
- وقبل أن يقول الشاب شيئا ، قال على للجرسون :
- بمبه .
- وذهب الجرسون وقال على للشاب :
- سنتناول قهوة مصرية في بيتى ، اننى قاطن في طرابلس بالقرب من فندق مهارى .
- وظل وجه الشاب جامدا ، لم يزد على علما بشيء ، انه لم ير طرابلس من قبل ولا يدرى أين يقع ذلك الفندق الذى يتحدث عنه ، وقال الشاب :
- اشكر لك دعوتك .
- وعاد الجرسون ووضع القهوة أمام على ووضع كوبا به سائل أبيض في لون اللبن أمام الشاب ونظر الشاب الى الكوب مليا وقال :
- اهذه هي « البمبة » ؟ !
- ذقتها انها لذيذة .

ورفع الشاب الكوب الى فمه ورشف منها في حرص ثم قال :

– لذيدة ؟ يخيل الى اننى شربت هذا الشراب من قبل .

فابتسم على وقال :

– انها سويبة .

ورشف على من الفنجان رشفة ، ورفع عينه الى الجرسون

وقال وهو يهز رأسه استحسانا :

– « باهى » .

وأشرق وجه الجرسون بابتسامة عريضة وانصرف راضيا ،

وقال الشاب :

ما معنى باهى ؟

معناها « حسن » وقد سمعت في ليبيا انها كلمة عربية ، ولكننى

لا افهم في اللغة شيئا .

فقال الشاب وهو يضحك :

– « ياهى » فعلت .

فقال على وهو مسرور :

– لو كانت كلمة عربية لوجب ان تقول : « باهيا فعلت » .

وراح الجرسون يمر على الموائد وهو يمرج ، ولح على اثار الالم

في وجهه ، فقال له لما دنا منه وهو يشير الى رجله :

– ماذا بك ؟

فقال الجرسون وقد ارضاه ان يهتم غريب بامرّه :

– « كراعى » تؤلنى ، ارتطمت بمقعد هذا الصباح .

واستأنف الجرسون عمله ، ولما ابتعد قال الشاب :

— كراعه تؤله ؟ ! ما هي كراعه ؟

— ساقه .

— الساق اسمها كراع ؟ !

— انها من الكارع .

ومر بعض الوقت ، واقبل الجرسون وقال :

— ستتحرك الطائرة بعد خمس دقائق .

فقال له على في هدوء :

— واتى .

واخرج من جيبه حافظة نقوده ودفع ثمن ما شربه وما شربه  
الشاب ، وابتعد الجرسون ، وقال الشاب في صوت خافت وهو  
يقدم زناد فكره محاولا أن يفهم معنى الكلمة :

— واتى ! واتى !

فقال له على وهو يبتسم :

لا تجهد ذهنك ، انها ليست كلمة عربية ، انها كلمة بربرية  
ومعناها : انا مستعد .

وضحك الشاب وقال :

— وانا « واتى » .

وجاء رجل يسمى ووقف في وسط المكان وصفق ثم قال :

— تفضلوا .

ونهب المسافرون الى طرابلس ليستأنفوا رختهم ، وسار على  
والشاب الى الطائرة ، وقبل أن يصعدا في الدرج التفت على الى  
الشاب وقال :

— لا تنس أنك مدعو لشرب القهوة المصرية اليوم في بيتي .

— شكرا لك .

— بعد ساعتين من الملل والفراغ سنحتسب القهوة المصرية معا  
ان شاء الله .

— ان شاء الله .

وغابا في الطائرة وانطلق على الى مقعده ، والتفت الى السيده  
السمراء فألفاها قد اضطجعت في مقعدها وسقط رأسها على صدرها  
وغابت عن الوجود ، وجعلت تشهق وتزفر في جهد وقد تقصد العرق  
من وجهها ، فخف اليها وجلس في المقعد الخالي الى جوارها وتناول  
بدها وجمل يدها بيديه ثم رفع يده ، وراح يضرب خدها في رفق  
لعلها تفيق دون جدوى ، فنادى المضيفه فجاءت بسرعة فقال لها  
في لهفة :

كولونيا من فضلك .

وهرولت المضيفه بجسمها الفارع وغابت قليلا في مقصودها  
وما لبثت ان عادت بسرعة تحمل زجاجة الكولونيا ، فبسط لها كفه  
نصبت فيها الكولونيا ، فأدناها من أنفها ثم راح يمسح بيده وجهها  
وجيدها .

وأضيئت الالافنة التي تامر الركاب بربط أحزمتهم ، فلف حزام  
المقعد حول وسطه ، ومد يده ليلف حزامها حولها ولكنه احجم ،  
أحس كأن رجلا آخر يتلبسه يصيح به في زجر ان لا يفعل ،  
وانكمش أمام ذلك الصوت الناهى وثلت حركته ، وأشار الى المضيفه  
ان تربط لها حزامها ففعلت ثم أسرع الى مقعد خال وجلست فيه  
ولفت الحزام حول وسطها .

وراحت الطائرة تدرج على الأرض ثم ترتفع في الجو وهو بذلك  
بديها في رفق ويريت على خدها في حنسان حتى فتحت عينيها ،  
ولما راته ابتسمت له ابتسامة شاحبة ، وترجم البريق المتألق في عينيها  
من شكرها ورضاها .

ورفعت رأسها ، واعتدلت في مقعدها قليلا ، فقال لها :  
- كيف أنت الآن ؟  
- أحسن .

وانتظم تنفسها ، وعادت الحمرة الى خديها ، ونبضت الحياة في  
بينيها وظل الهلالان الأسودان اللذان يحدان عينيها من أسفل على  
حالهما ، ومال نحوها وقال لها :

- اهذه أول مرة يحدث لك فيها هذا الذي حدث ؟  
فقلت في نبرات يشوبها أسى :

- حدث لي ذلك مرة قبل اليوم ، وقد عرضت نفسي على  
الطبيب فقال لي ان دورة الدم غير منتظمة ، ولكنني فهمت ان قلبي  
ضعيف .

- ومن اين جاء هذا الفهم ؟

- وصف لي ان أتناول أربع نقط من الكورامين الى ثلاث مرات  
في اليوم ، فاذا لم يكن قلبي ضعيفا ، فلماذا وصف لي الكورامين ؟  
ولم يكن يفتق شيئا في الطب ، ولكنه أحس رغبة في أن يدخل  
الطبيباتية على نفسها الواجفة فقال في حماسة :

- وصف لك الكورامين ليعاون على انتظام دورة الدم ، لقد  
وصف لي الطبيب مرة استعمال الكورامين مع ان قلبي سليم ، انه  
علاج عارض .

وصمت وراح يسأل نفسه : لماذا كذب ، وما الذى دفعه الى هذا الكذب ؟ وقبل أن يسترسل فى حساب نفسه قالت له :

— أظن أنك رأيتنى وأنا أضع الكورامين فى الشاى .

— نعم .

والنقت عينها بعينه ، كانت نظراتها اليه تختلف عن النظرات التى حار فى أمرها ، انها نظرات راضية تدعوه الى الاسترسال فى الحديث الذى ينزل السكينة على قلبها ، بينما كانت نظراتها التى غمت عليه تتوسل اليه أن يخف اليها ليحميها من الفيوبة التى كانت تزحف لتحببها عن وعيها .

ورفت على شفقتها بسمة وقالت :

— أحسست اننى سأغيب عن الوجود قبل أن تهبط الطائرة وتماكنت ، حتى اذا ما استقرت الطائرة على أرض المطار اسرعت الى غرفة المضيفات وتمددت فى سرير لايسر للدم الصعود الى رأسى ، وقد أحسست بالراحة فعلا ولكن ما أن عدت الى الطائرة حتى شمعت بالاغماء يعاودنى .

— لعلك أجهدت نفسك فى الأيام الأخيرة .

— عدت بالطائرة من الاسكندرية الى القاهرة ، ومن القاهرة ركبته هذه الطائرة .

فقال على فى دهش :

— انت مصرية ؟

فهزت رأسها أن نعم ، فعاد على يقول فى انكار :

— أن من يراك يحسبك سورية .

- حقا ؟ !

- انت سورية على الرغم من سمرة بشرتك ، التقاطيع ..  
الانف .. الدم .. حتى لهجتك .

فقلت وقد أشرق وجهها بابتسامة حلوة :

- ابي مصرى وامي فلسطينية .

- واين ولدت ؟

- في القدس .

- واين ابوك الان .

فقلت في بساطة :

- مات ولحقت به امي .

فقال على مواسيا :

- هذا حالنا ، وانا ايضا مات ابي ولحقت به امي .

فقلت في مرارة :

- ان كان ابوك وامك قد ذهبا فقد بقى لك وطنك ، اما انا

فلا وطن لي .

فقال على وقد اتسعت عيناه :

- ألم تقولى ان اباك مصرى ؟

- ولكننى ولدت في القدس ، وعشت فيها وفتحت شبابي عليها،

اننى فلسطينية ، ولقد عشت النكبة وذقت مرارتها ، وتبرعت

كأس التشريد ، اننى مذ فررت من وجه الطغيان اهيم على وجهي

ناثمة في هذه الدنيا الواسعة ، وكلما مرت الايام ازداد احساسى

بوحدي بتساعة ، واتصور احيانا أن العالم كله يمقتنى ، هدفه

أن يسحقنى . وباليته يقضى على دفعة واحدة لاسنريح ، ولكنه  
يتفنن فى تعذيبى ، اننى لا اظن ان الزمن قد عذب أحدا كما عذبنى  
فقال لها على فى اشفاق :

— أوهامك تصور لك ذلك ، انت مريضة بالوهم .

بابتسمت فى استخفاف وقالت :

— ياليت ،

— الكورامين .. ضعف القلب .. قسوة الحياة .. كلها أشياء من

حلقك أنت .

فقال وقد غامت صفحة وجهها بسحابة من الأسى :

— لولا اننى لا أريد أن أثقل عليك لقصصت عليك قصتى .

فقال على فى صدق :

— انه لما يشرح صدرى أن أصغى اليك .

— ولكن قصتى لا تشرح الصدر .

ونظر اليها طويلا دون أن ينبس بكلمة ، وشرد مفكرا ، كان يبحث

عن الالفاظ التى تترجم عن الاحساس الجياش الذى يملأ جوانحه .

وضاق بالصمت الذى ساد بينهما فقال :

— فد تستريح النفس الى حديث فياض بالأسى ، وتنفر من

حديث زاخر بالمرح ، العبرة فى أن يفتح القلب للقلب ، وقلبي الآن

منفتح لكل ما يخرج من بين شفتيك .

واسبلت جفניה على عينيها ، بهرأ ذلك البريق المتألق فى

عينيها ، وظل يرمقها فاستشعر ميلا اليها ، انها قريبة اليه ، اقرب

من ذلك الفراغ الذى يفصل بين مقعديهما ، وقال :



— قولى .. كلى اذان .

والتفتت اليه بكل جسمها ، وراحت تقص قصتها فى صوت مشوب بأسى ، ينفذ الى القلب ويحرك مواجع النفس ، قالت :  
— كان بيتنا فى القدس ، وكانت مدرستى فى شارع الملك داود ،  
كنت اذرع الشارع انا وصويحبائى فى الصبح وفى العصر ، ومرت  
الايام والشهور والسنوات زاهرة بالغبطة والامال يزيد جسمها  
ما تضفيه عليها قلوبنا الشابة الخلية النابضة بأروع مشاعر الحياة .  
وجاء اليهود الأفكون الى الوطن الحبيب من متسارق الأرض  
ومتاربها فى حماية دولة الانتداب ، وبعد أن كانوا أذلة ، طفوا وبغوا  
واشتدت مطالبتهم بتنفيذ وعد بلفور المشؤم ، وقمنا للدفاع عن  
ثياننا ولكن الانجليز كانوا يضربون على أيدينا بشدة ، وينزكون  
الأفكين يرتكبون الجرائم فى حمايتهم .  
واعان الانجليز انسحابهم من فلسطين بعد أن احكموا تدبير  
مؤامرتهم مع اليهود ، فراحت فلسطين ترقص على قوّة بركان ،  
« كشرت الاشتباكات والاغتيالات .

وفى ذات صباح كنت اجتاز شارع الملك داود ، كنت قد بلغت  
التاسعة عشرة ، واذا بشابين يهوديين يعترضان سبيلى وقال  
أحدهما : « تعلمين ان فتاة يهودية قتلت أمس : قتلها العرب »  
وارتجفت وتحركت لأفر من وجههما واذا بصوت آمر يقول : « قفى ،  
سنموتين الآن كما ماتت اختنا بالأمس » وأخرج مسدسه وصوبه  
الى وهو يقول : « صلى » ، ولم أفعل شيئا ، تملكنى رعب شديد ،

وأحسست ان راسي فراغ ، تعطل تفكيري ، وان كانت مشاعر  
الخوف تكاد تقضى على .

وسمعت صوت انطلاق رصاصة ، وانهرت على الأرض كما  
ينهار الجدار ، وقر في وجداني أنني مت ، وغبت عن الوجود .  
وتنضت لحظات وأنا لا احس شيئا ، وبدأت المشاعر تعاود نبضها  
في جنباتي ، وفتحت عيني وأنا خائفة ، ورأيت اشباحا تتراقص  
واخذت الصور تتضح لعيني شيئا فشيئا ووعى يعود الى ، ففطنت  
الى اننى مستلقية على الأرض وان راسي على ذراع رجل . وان  
الناس التفوا حولي .

ونفضت اتحسس مكان الرصاصة في جسمي ، وكم كانت  
دهشتي عندما اكتشفت أنها لم تصبني ، وتطوع كثيرون لقصى  
ما حدث على مسامعي ، وقد فهمت من رواياتهم أن دورية بريطانية  
ظهرت في الطريق في الوقت الذي صوب فيه الجبان مسدسه الى ،  
وانه ارتبك فطاشت رصاصته ومرت بجوارى وانهما أسرعا الى  
سيارة كانت في انتظارهما وفرا هاريين .

وصمتت قليلا ثم قالت :

– ليتنى قتلت في ذلك الصباح واسترحت من العذاب الذي  
كان في انتظاري ، بعد تلك الحادثة نسف فندق الملك داود وانسحب  
الانجليز بعد أن تركوا بعض اسلحتهم لليهود ، وبدأت المذابح ودخلت  
الجيوش العربية لانقاذ فلسطين ، وكانت خيانات الملوكة فسقطت  
القدس الجديدة في ايدي الصهيونيين وكان علينا أن نترك الدار التي

نشأت فيها ، ونفر من الموت الذى يتعقبنا ، وهمتا على وجوهنا  
مرعوبين ، واصبحنا لاجئين بعد أن كان لنا بيت وأهل ووطن .  
واسبلت جفنيها على عينيها لتخفى الحزن الدفين الذى تحرك  
واحتشد فى مقلتيها وقالت فى مرارة :

– وفجأة وجدنا أنفسنا فرعا بلا أصول ، عضوا أبتر انفصل  
عن الجسد ، وكنا على الرغم من الشقاء الذى نتجرعه أسعد حالا  
من اخواننا ، كانت جنسية أبى جواز المرور لنا ، فانطلقنا الى مصر  
وحططنا رحالنا فى الاسماعيلية .

وبدا أبى من جديد ، وانها لقسوة أن تضطر الظروف من كان  
يعيش فى بحبوحة مثله أن يبدأ من جديد ، واتضح أن الامر ليس  
فى مثل السهولة التى صورها لنا اول ما هبطنا الاسماعيلية ، وفطنت  
ان الواجب على أن أعمل لأساعد أبى وأمى ، ووجدت عملا فى مدرسة  
ومنذ ذلك الوقت أصبحت مدرسة تعلم الفتيات الحساب .

وذقت طعم الاستقرار فى الاسماعيلية ، ولكن كان قلبى متعلقا  
ببيتى الذى كان هناك يرزح تحت ذل احتلال الصهيونيين .

وعرفته فى المدرسة ، كان مدرسا للغة الانجليزية ، وكان وديعا  
خجولا ، اذا تحدث الى يطرق الى الأرض ويقضم أظانره بأسنانه  
كالأطفال ، وقد مست وداعته وترا حساسا فى نفسى ، وخفق قلبى  
بحبه ، وقد عجبت لذلك الاحساس الجميل الذى تدسس الى ظلام  
روحى فى غفلة منى .

وأفزعنى أن قلبى قد خفق بالحب على الرغم من المحنة التى  
نعيش فيها ، وحاولت أن أقهر ذلك الشعور وأن أقبره ، ولكن

الحياة أقوى من أتراحنا ، فطفأ حبي فوق أحزاني ، وتبدى في لفتائي  
وحركاتي ونظراتي ، حتى ان أمي فطنت الى التبدل الذي اعتراني ،  
وسألتني في حنان عن حياتي وعن شعوري نحو زملائي ، فأفضيت  
اليها وأنا مطرقة أكاد اذوب خجلا بسر قلبي ، ونظرت اليها من بين  
اهدابي المسبلة لأقرا الغضب في وجهها ولكنها كانت منبسطة  
الأسارير تتالق نظراتها بالفبطة ، وطفعت سعادتها حتى انها ضمتني  
الى صدرها وقبلتني .

وشد أزرى رضا أمي ، فأشرقت نفسي وأقبلت عليه أحادثه  
وأنا نابضة بالحب والحنان ، فاستراح الى وحلت عقدة لسانه ،  
وكشف عن مكنون صدره ، قال : انه يحبني وانه لا يستطيع العيش  
بدونني ، وانه يريد أن يتخذني زوجة ويود أن يسمع رأيي .

وغردت بلابل نفسي ، وتفجرت ينباع سعادتي . وصفت الحياة  
في عيني ، وطفرت دموع الفرح من مقلتي ، ولم تتحرك شفثاي  
بكلمة ، وان نطقت كل ملامحي وخليجات ذاتي ترحب بذلك العرض  
الكريم ، وأحس السعادة التي غمرتني ، وهنا قلبه بحديث قلبي ،  
فقال في صوت خافت ذاخر بالفبطة : شكرا .. شكرا .

وتم زواجنا ، ومرت الأيام وأنا هائلة في دنيا كلها غبطة ، وفجأة  
استيقظت من الحلم الجميل على موت أبي . حزنت وبكيت ولكن  
روحى مسح بيده الحنونة دموعي ، وبرات روحي من أحزانها بما  
سكبه فيها من عطف وحنان ، واستأنفت حياتي أحب كنوس سعادتي  
وتصرمت سنون وماتت أمي فنكا موتها جرح نفسي ، عادت نكتتنا  
تتمثل لعيني ، عرت أراها في يقظتي وفي نومي ، وبأ طالما رايت في

أحلامي التسابين الصهيونيين رهما يستوقفاني في شارع الملك داود  
ويصوب أحدهما الى مسدسه فأهب من نومي مفزوعة وأنا أصرح  
في رعب وهلع .

كان عزائي يوم موت أبي انه دفن في أرض وطنه ، أما أن تموت  
أمي مشردة دون أن تلفظ آخر أنفاسها في القدس فذلك الذي كان  
يقطع نياط قلبي ، وأصبحت حليفة أحزاني ، وبذل زوجي ما في  
طوقه ليرفه عني ، ولكن جرح فؤادي كان أعمق من أن يلتئم ، وقيحه  
اصنسلامي لاحتساساتي السوداء .

آه لو كنت أدري ما يخبئه لي قدرى لقاومت مشاعري وغمرة  
بكل ما تزخر به نفسي من حنان ، ولكن لم يخطر لي على قلب أن  
الزمن يدخر لي أسوأ ما في جعبته من مفاجآت .

كانت اسرائيل سبب نكبتى الأولى وكانت هي سبب فجيعتى  
الثانية واننى أعيش الآن على أمل واحد ، أن أرى زوال تلك الباغية  
التي جرعتنى أمر كنوس الحياة ، وأن يتلوى طقاتها من الألم على  
ما اقترفوا من آثام .

نسجت اسرائيل خيوط المؤامرة على مصر ، وتم اتفاق الأوغاد  
على القدر بها ، وتحركت اسرائيل على الحدود ، وحاول الانجليز  
والفرنسيون أن يطلعنونا من الخلف ، وشنت الطائرات علينا الغارات «  
ولا ادعى اننى قابلت تلك الغارات وأنا رابطة الجأش ، كنت أرتجف  
هلعاً وأصيح محمومة استنزل اللعنات على الغادرين ، فقد كنت  
أخشى أن ينزل بوطن ابني ما نزل بوطن أمي ، وأن نهيم على وجوهنا  
جميعاً مشردين .

كان اذا ما انتشر ازير الطائرات يهرع الى ويضمنى الى صدره  
فى حنان ليذهب عنى روعى ، ولكننى كنت انتفض فى احضانه وأنا  
اسب والعن واصيح ، وهو يحاول ان ينفث فى الاطمئنان بكلماته  
التي يسكبها فى اذنى .

وفى الليلة المشؤمة استيقظت من نومى مفزعة على اصوات  
القنابل الهابطة من السماء ، ففتحت باب غرفتى وانطلقت اعدو فى  
الطريق دون وعى لا الوى على شىء ، ولا اعرف اين اتوجه ، وهب  
من نومه وراح يعدو خلفى وينادىنى والقنابل تتساقط حولنا ،  
وصكت اذنى صرخة مرعوبة ثم صوت انهيار ، وعلى الرغم من الهلع  
الذى استبد بى ، احس قابى ما حدث وفى مثل لمح البصر تمثلت  
لدهنى الفاجعة ، فانقشع خو فى فجأة ووقفت والتفت خلفى فرايته  
يتلوى من الالم ، فعدت اليه ونذارت ، فاذا بالدماء تتفجر من جراحه  
فارتفعت فوقه احاول ان اسد بيدي ينابيع الدماء المتدفقة دون  
حدوى ، وحين جنسونى فجعلت اسيح وانادى واتلفت وضاعت  
سيحاتى بين هزيم القنابل المدوية .

وسكن كل شىء ، حتى قد سكن عن الحركة ، وأخفيت وجهى  
فى صدره الفارق فى الدماء وأنا ابكى وانتحب واختلطت دموعى  
بدمائه وتميت فى تلك اللحظة لو ان الطائرات تمود وتصوب الى كل  
ما نحمل لاذهب معه ، فقد كان آخر خيط يربطنى بدينا الضواى  
التي لا يزال يحكمها قانون الغابة .

ولم اطق العيش فى مجر بعده ، فرحت اسعى الخروج منها ،  
ورائننى القرس فرجدت عملا فى ليبيا ، فحملت احزائى على ظهري  
وانطلقت اليها .

وصمتت وظل على يرقبها وقد نبتت مشاعر جديدة في جوفه ،  
كان يستشعر عطفًا نحوها ويحس أنها صارت قريبة الى قلبه ،  
حبيبة الى نفسه . وأراد أن يظل حبل الحديث موصولًا بينهما ،  
فقال :

– وماذا تعملين في ليبيا ؟

فقالت دون أن تنظر اليه :

– ناظرة مدرسة ابتدائية .

وقال وقد تهدج صوته :

– أتعيشين في طرابلس وحده ؟

– نعم ، وبيتى في شارع القاهرة ، ولم اسكن في هذا الشارع .

مفروا ، فقد صمتت على أن أقطن فيه ليدكرنى دواما بمأساة حياتى .

– اذا كنت ترغبين في أن تظل مأساة حياتك حية في نفسك فقيم

كان هربك من مصر ؟ !

– اننا نهرب دواما من مسرح الفاجعة ، ولا نفر من ذكرها .

– ولماذا لا تحاولين أن تنسى .

ولم تدعه يكمل حديثه ، وقالت في مرارة :

– هيهات أن ينسى المرء عشه السعيد الذى تقوض .

– لا تزالين شابة . لماذا لا تحاولين أن تبينى عشا سعيدا آخر !

فابتسمت ابتسامة باهتة وقالت :

– ان كان شعرى لا يزال أسود ، فان الشيب قد نبت في اغوار

نفسى وجلل وجدانى .

فقال خافق القلب وقد ازداد منها قربا :

- قطرات من الحب كفيلة بأن تعيد سواد الشعر الى وجهك  
فقلت وهى تبسم فى استخفاف :  
— سيكون سواده كسواد الصبغة ما يلبث ان يذهب .  
— انك لم تشيخى ، ولكن نفسك قد جرحت ، والايام هى  
البلمس الشاقى للجروح .  
فلوت شفتها وقالت فى مرارة :  
— لو كان هذا حقا فسيبرأ جرح قلبى بعد ان تمتد اشتعال  
النسيب من اعماقى الى راسى .  
فقال فى انفعال :  
— نتحدثين كأننا الشباب والجمال المادى كل شيء ، الحب  
الصحيح هو حب الروح ، وما أكثر الذين سيعشقون روحك  
لو فتحت لهم قلبك وخرجت من قوقعة ذاتك .  
فقلت فى زراية :  
— شكرا .  
ولم تفتر حماسه ، وقال :  
— أنت وحيدة فى طرابلس وأنا وحيد ، اتسمحين لى بزيارتك  
فقلت فى ترحيب :  
— ليتك تفعل .  
— قلت ان منزلك فى شارع القاهرة ..  
— أمام محل منصور ..  
وابتسم وقال :  
— تحدثنا طويلا دون ان يقدم احدا نفسه للآخر ، انا على طه



محاسب قانونى ، لى مكتب فى طرابلس وآخر فى بنى غازى وأنا  
دائم التنقل بينهما .

فقلت وهى تبسم :

— تشرفنا .

وصبمت ولم تذكر له اسمها ، ولم يكن فى حاجة الى معرفته ،  
هو يحس فى تلك اللحظة أن روحها انسابت بين جوانحه فأيقظت  
أرق مشاعره الهاجعة . وأضيت الالفة التى تأمر الركاب بربط  
أحزمهم ، فلف كل منهما حزامه حول وسطه ومال نحوها بكل  
جسمه وأدنى منها أذنه ليتمكن من سماع حديثها ، ولكن كلماتها  
ساعت فى هدير مراوح الطائرة التى علا ضجيجها .

واستقرت الطائرة على الأرض ، فالتفت إليها وقال :

— حمدالله على السلامة .

ومال وجذب حقيبته الصغيرة من تحت الكرسى الذى أمامه ثم  
بعض وفسح لها طريقا ، ومدت يدها لتحمل حقيبتها المنتفخة ولاح  
فى وجهها أنها قاست من حملها ، فخف إليها وحمل الحقيبة عنها  
وهى تقول :

— عفوا .. عفوا .

فقال وهو يبتسم :

— باهى .. باهى .

وسارت وهو خلفها حتى اذا هبطا الى أرض المطار انطلقا جنباً  
الى جنب وهما يتحدثان ، وأحس على يدا على كتفه فالتفت خلفه ،  
ماذا بالشاب الذى وعده بفنجان قهوة مصرية يشربه فى بيته يبتسم

له . كان على قد نسيه في غمرة نشوته بالحديث الذي كانت تسكبه في اذنيه . انه كان صادق الشمور سليم القلب ساعة أن دعاه ، فما دار في خلداه ان يطرا على حياته كل ذلك التغير في ساعتين حسب انه سيقضيهما في ثاؤب وملل ، اما الان فقد زحف الضيق الى صدره وان لم تبد على وجهه آثاره .

والتصق الشاب به كأنما يحتوى به ، فما كان يدرى الى اين يذهب وماذا يفعل ، وانتهت الاجراءات ، وخرجوا الى سيارته الشركة التي كانت تنتظرهم ، وجلست واسرع بالجلوس الى جوارها مسافر آخر ، فأخذ على يرمقه في شزر ثم اتخذ مكانه خلفها وهرع الشاب اليه وجلس الى جواره .

وانطلقت السيارة الى المدينة ، وقال الشاب لعلى وهو يبتسم :  
- عزمت على أن انزل في الفندق القريب من بيتكم . لقد ذكرت لى اسمه ولكننى نسيته ما اسمه ؟

- المهارى .

وقال الشاب دون أن يفطن الى أن عليا يريد ان يظل في رفقه نفسه ، يحلل مشاعره التي تفجرت بغزارة في أعماقه بعد حديث السيدة الذي مس اوتارا مرهفة الحس في وجدانه :

- وهل « المهارى » كلمة عربية ؟ .

فقال على في نبرات تنم عن رجائه له ان يسكت والا يعاود الحديث :

- انها كلمة ايطالية ومعناها « الهجين » .

وقال الشاب ليظل حبل الحديث موصولا بينهما :

— قطعنا مسافة طويلة ولم نبلغ بعد المدينة ، فكم كيلومترا يبعد  
الطار عن طرابلس ؟

ولم يحر على جوابا ، ونظر اليه الشاب فألفاه شارد الب ،  
ماحترم صمته مرغما .

وبلغت السيارة المدينة . وهبط منها ركابها ، وسر عليا انها  
وقفت تنتظر هبوطه ، فخف اليها يودعها وهو خافق القلب ، يشع  
من عينيه بريق اخاذ ، ومدت له يدها مصافحة ، فأسرع واحتوى  
يدها في يده ، وضغط عليها في خفة لتسرى المشاعر المارة الموبدة بين  
جنباته اليها ، وقال في رقة :

— مع السلامة .

وقالت في هدوء :

— منتظرة زيارتك .

وتدفق الدم حارا الى وجهه ، وقال في صوت متهدج :

— ان شاء الله .

وسارت وهو يرمقها ونشوة تدغدغ كل حواسه ، واحساس  
بالرغبة في أن يعدو خلفها ليكون الى جوارها دوما يملأ نفسه .

وغابت عن عينيه ، ودار على عقبيه فألقى الشاب قد وضع  
حقيبته بين رجليه ووقف ينتظره ، فابتسم له وقال :

— تعال .

وركبا عربة حنطور تظللها مظلة كبيرة مخططة من مظلات  
الشواطىء ، وراح الشاب يتلفت يملأ عينيه بالمحال والمباني والفادين

والرائحين ، وسارت العربة الى الكورنيش ، فصاح الشاب في فرح  
- لكأنا في الاسكندرية ، في الميناء الشرقى على التحديد .

وظل الشاب في تلفته دون أن ينبس على بكلمة ، كان غارقا في  
بحار من الافكار ، ووقفت العربة امام مبنى أبيض له مظلة اقيمت  
على اعمدة مستديرة رفيعة ، اصطفت تحتها بعض سيارات وفوق  
المدخل شيدت بناية مثمثة الشكل في قاعدتها نوافذ ، وفي منتصف  
المشمن قامت اسطوانة تنتهى بنصف دائرة ، وكتب في اعلاه بالعربية  
والايطالية « فندق المهارى » ، وهبط الشاب وهو يحمل حقيبتين  
ولحق به على ، واراد الشاب أن يقول شيئا ليذهب الوحشة التي  
بدا يحسها فقال :

- عربة جميلة .

فقال له على :

- انها تسمى هنا « كاروسة » .

وذهب على وحجز له غرفة ، وانتظره في الردهة حتى ينتهى  
من وضع حوائجه ويعود اليه ، وأخذ على يلدع المكان وهو يرم  
بالانتظار ، انه قد عرض على الشاب أن يصحبه الى بيته ليشرب  
فنجانا من القهوة لأن حياته في طرابلس كانت فارغة ، وكان في حاجة  
الى من يؤنس وحشته ، اما بعد أن قابلها فقد ذهبت عنه وحده ،  
وملات عليه حياته .

وعاد الشاب وصحبه على الى بيته ، ورحب به ، وقدم اليه  
قهوة مصرية ، وراح الشاب يتحدث وهو غائب عنه ، وفطن الشاب  
الى شروده فاستأذن في الانصراف منفعلا يتعبه وحاجته الى الراحة .

وبقى على في البيت مع طيفها ، يتمثل الحديث الدائر بينه وبينها  
ورن في سريره صوته وهو يقول لها : « لماذا لا تحاولين أن تبني  
عشا سعيدا آخر ؟ » فضرب كفه بقبضته وقال : « نعم ، لماذا  
\* تحاول أن تبني عشا سعيدا آخر ، فلتحاول وساعاونها على  
تشييده ، اننى لم افكر من قبل في أن اتزوج ، ولكننى الآن اتمنى  
من كل قلبى أن تقبلنى زوجا ، ان روحى قد أحبت روحها ..  
عشتقتها .. هامت بها .. وجدت اخيرا ما كانت نفسى تشتتبه وتهفو  
اليه » .

وارتمى في فراشه وسبح في عالم من الرؤى العذاب ، وتردد في  
جوفه صوتها وهى تقول : « ان كان شعرى لا يزال اسود ، فان  
الشيب قد نبت في أغوار نفسى وجلل وجدانى » وهب من رقاده  
ثائرا وهو يقول : « لا .. لا .. انها واهمة ، وهى دائما تضخم اوهامها ،  
لقد اصببت كبد الحقيقة عندما قلت لها : انها مريضة بالوهم .  
سأشفيها من وهمها هذا ، ستدوب ثلوج مخاوفها تحت شمس  
حبى ، سأغذيها بالحنان حتى أقوى روحها ، وأعيد اليها ثقته  
بنفسها التى زعزعتها الأحداث » .

وعاد مرة أخرى الى فراشه وتمدد فيه وهو يفغم : « اننى  
أحبها .. أجل أحبها على الرغم من أن عمر معرفتى بها لا يزيد على  
ساعتين ، ان مشاعرى لا يمكن أن تخدعنى وأنا في مثل سنى ، فقد  
نجاوزت مرحلة الطيش والاندفاع » .

وتقلب في فراشه ، وراح يفكر في الأرملة التى ملكت كل حواسه  
وقرر رأيه على أن يذهب اليها في الغد يشرح لها في بساطة حقيقة

مشاعره ويطلب منها الزواج ، وعلى الرغم من انه قد استراح الى ذلك القرار ، فقد جافاه النوم ، واستمر طوال الليل يجتر أحداث الساعتين اللتين أمضاها معها وهو منعم بالغبطة والانشراح .  
وتصرم الليل ، واقبل النهار ، فراح يتأهب للذهاب اليها خافق القلب ، يحس كأنما قد خلق خلقا آخر ، ولما اتم ثأنقه هبط في الدرج مسرعا ، وهرع الى سيارته ، وانطلق بها الى شارع القاهرة .

ووقف أمام محل منصور وقد اشتد وجيب قلبه ، ومشى الاضطراب في أوصاله ، ونظر في قلق الى البيت المواجه للمحل فألفاه من طبقة واحدة تعلو الدكاكين ، فهبط من سيارته ومرر لسانه على شفتيه ليذهب عنهما الجفاف الذي بدأ يحسه ووقف برهة يسترد أنفاسه المبهورة ويجمع شتات أمره ثم سار الى البيت لا يلاوى على شيء ولا يلتفت خلفه .

وطرق باب الشقة طرقة خفيفة كانت اخفت في أذنيه من طرقات مشاعره الصاخبة المدوية ، ومرت لحظات ثم فتح الباب عنها ، كانت ترتدى ثوبا منزليا بسيطا ، وشعرها مسترسل على كتفيها ، ولما رآته تألقت عيناها ببريق خاطف ، وانفجرت شفتاها عن بسملة عذبة وقالت :

— أهلا وسهلا .. تفضل .

وقادته الى غرفة الاستقبال ، كان اثاثها بسيطا ولكنها كانت منسقة تنسيقا جميلا ينم عن حسن ذوقها ، وجلس وتحركت لتبدل ثوبها وهي تقول :

— لحظة واحدة من فضلك .

فقال وهو يزحف حتى حافة المقعد :

— اعرف اننى جئت في وقت غير مناسب ، ولكن عذرى اننى  
لم استطع الصبر على ما أريد أن أفضى به اليك .

وأشار الى مقعد امامه وقال :

— اجلسى ارجوك ، ولن تستغرق زيارتى الا دقائق قليلة .  
وقرات في عينيه التوسل فجلست صامتة ، ونظر طويلا الى  
الهالين الاسودين اللذين يحدان عينيها من أسفل ثم قال :  
— لم افكر في شيء بعد منذ افترقنا حتى الآن الا فيك .  
وأحس انها جفلت وان جاهدت لتخفى انفعالها ، فقال في هدوء  
وان تهدج صوته :

— ارجوك أن تسمحى لى أن أعبر عن نفسى في صدق وبساطة ،  
اننى لم أذق طعم النوم البارحة ، أمضيت لياى إنكر فى كل كلمة  
خرجت من بين شفتيك وأحلل عواطفى فاهتديت الى اننى قد وجدت  
ضالتي ، لقد كنت عازفا عن الزواج ، اما بعد إن قبيلتك فانى أشنهي  
وأرجو أن تقبلينى زوجا .

وسرت في جسمها قشعريرة ، وقالت في صيوت مضطرب  
— ان مأسائى قد مست مكان العطف منك ، انك تعطف على .  
فقال في حماسة :

— أبدا ، اننى قد أحبيتك .. أحبيتك حباً صادقا ، وانه  
لما يشرفنى أن تكونى لى زوجة .  
فقال في دهش :

— اتعرض الزواج على سيدة لا تعرف حتى اسمها ؟ !

فقال وهو يدنو منها :

- وما يهمني من اسمها اذا كانت روجى عشقت روحها ، اذا  
كنت قد احسست اننى لها وانها لى ، انا واثق اننا سنسعد بها ،  
لا تستسلمى لياسك ، حاولى ان تعاودى بناء عش جديد وان تعلّيه  
حبا وسعادة ، انت زاخرة بأجمل ما فى الوجود من مشاعر ، اسمدى  
بها ، حرام عليك ان تحطى هناك وهنائى .  
فقال له فى انفعال :

- آسفة ان كنت لم اقدم لك نفسى بالامس ، انا جاكين توفيقى ،  
انا مسيحية وانت مسلم .

- حتى هذا لا يحول بيننا ، انت مؤمنة باله وانا مؤمن باله ،  
الا يكفى هذا ؟ اجل يكفى اننا مؤمنان وان روحينا قد ائتلقتا ، اقسم  
لك بحبى ان روجى لم تنجذب ابدا الى روح كما انجذبت اليك ،  
اقبلنى ما اعرضه عليك أرجوك من اجلى ومن اجلك .

فقال وقد اطرقت واسبلت جفניה على عينيها :  
- آسفة ، لن اتزوج ابدا ، سأظل ما حييت ارملة من فلسطين .  
فقال فى انفعال :

- ان كل ما مر بك وهم من الأوهام ، أضغاث أحلام اما الحقيقة  
فى اننى لك وانك لى ، لقد وجدنا نفسينا فلماذا نضيعهما .  
ورأى الدموع تنهمر على خديها فعقد لسانه لم يكن يدرى أهى  
دموع الفرح ؟ ! أهى دموع الأسى ؟ ! أخرج شعورها لما قال لها ان  
كل ما مر بها وهم من الأوهام ، وجعل يرمقها فى قلق فألفاها تمد له  
يدها وتقول :



— ان كنت تبغى صداقتى عدنى الا تعود ابدا الى هذا الموضوع .

وظل ينظر الى اليد الممدودة اليه وهو حائر ايرفضها ؟ ! ..  
ايقبل شرطها الجائر ثمنا لصداقتها ، انه اصبح لا يستطيع العيش بدونها ، يكفيه ان يكون دواما بالقرب منها وألفى يده تمتد الى يدها وتصافحا ، ولم تكتف بذلك بل قالت :

— قل اقسم بالاله الذى اؤمن به الا أعود ابدا الى هذا الموضوع .

فقال فى صوت خافت زاخر بالأسى :

— اقسم بالله العظيم الا أعود ابدا الى هذا الموضوع .<sup>١</sup>

وأطرق ساهما ثم نهض مستأذنا ، فقالت له وهى تودعه :

— تفضل فى أى وقت ، بيتى مفتوح لك .

وهبط الى الشارع ولم يتجه الى سيارته ، فقد راح يضرب ما فى الطرقات على غير هدى ، وهو ساخط على نفسه لأنه قبل ان يقسم ذلك القسم الغليظ بعد ان وجد من عشقتها روحه وخفق بحبها قلبه ، ولم ينقشع غضبه الا بعد ان راح يؤكد لنفسه بأنه سيحنت فى قسمه لو قبلته يوما زوجا لها ، وهو يأمل كثيرا فيما ستجرى به المقادير ، فلم يكن لقاءهما عبثا ، وانها لقسوة ان يكتب عليه أن تصبح ليلة عرسه ، ماتم حبه .



## العزبة

غرفة خالية الا من سرير سفري علاه الصدا ، فوقه حشبة  
تنم عن رقة حال ، ممدودة فوقها امرأة عجوز ذابلة ، مسبلة  
العنين ، بيضاء الشعر ، متجعدة الوجه ، يرتفع صدرها وينخفض  
كمنفوخ ، والى جوار السرير كرسى من خشب ، جدلت قاعدته من  
الخص ، وجلست فوقه امرأة بيضاء سمينة ، مشى الشيب فى  
شعرها ، كانت مطرقة الراس ، فى وجهها سهوم ، وفى قلبها هموم ،  
وفى رأسها ذكريات أيام سعيدة ، تراكت فوقها رواسب مأس  
قاسية ، وأحزان ثقيلة ، ومرارة عذبة وبشريد .

واستشعرت المرأة المثلثة جفافا فى حلقها ، وطعم الصاب فى  
فمها ، وهم يكاد ينقض ظهرها ، فزقرت زفرة كادت تلفظ فيها  
ذوب نفسها ، وتلملت فى جلستها ، ونظرت من بين أهدابها المسبلة  
الى أمها المسجاة أمامها فهاجت أشجانها ، وترقرقت فى مآقيها  
الدموع .

وزحفت الى خيالها مشاهد نكبتها ، رأت أمها وأباها وأختها  
يخفون اليها مفزوعين وهم يتصايحون يحثونها على الهرب ، فهزعت

اليهم وهى تكاد تموت من الخوف ، وغادروا الدار مذهولين ، يهرولون في جوف الليل وهم يتلفتون ، والمدافع تقصف ، والرصاص ينثر في كل مكان ، وصفحة الماء تلمع بالسنة حمراء سرعان ما تخبو لتألق السنة حمراء أخرى ، وتمتزج بهزيم الطلقات صرخات مرعوبة ، وسقوط أجسام وانين خافت ، فيكاد الهلع يخلع قلوب الهاريين الذين لا هم لهم الا النجاة بأرواحهم .

وخيل اليها ان قذيفة مدفع أصابت مثلثة العجمى ، وان الانقراض ستنهار فوق رأسها ، فاذا بقوة تدب في ساقها بعد ان كادتا ان تخذلاها وتسقط مغشيا عليها من الأعياء .

انها لا تدرى كيف جرت وانها لتعجب كيف استطاعت امها ان تقطع كل هذا الشوط حتى بلغوا اقرب بيرة ، وما كادوا يلتقطون انفاسهم حتى راحوا يستأنفون الفرار من الغدر الذى يترصدهم . وخلفوا يافا وراءهم ، وبدأت رحلة اللل والهوان والتشريد .

عشر سنوات تقضت مات فيها الاب وتزوجت الأخت وبقيت هى تكافح لتعمل امها وتكسب ما تمسك به الرmq ، لقد كانت امها عبئا عليها ولكنها الساعة لا تستطيع ان تتصور كيف تحتمل الحياة بعدها اذ كتب عليها ان تموت ، انها اليقة وحشتها وآخر ما تستنشقه من غير الوطن .

ومس اذنيها طرق خفيف على الباب فقامت وسارت على اطراف اصابعها وجسمها المترهل يهتز ، ومدت يدها تصلح الشعرات البيض التى تهدلت على جبهتها ، وفتحت الباب فآلفت الطبيب امامها ففسحت له الطريق .

ودخل الرجل ، وقال في صوت خافت :

– كيف حالها الآن ؟

– نامت بعد أن ظلت تعتب على عائشة وفاطمة وزينب .

– وما سبب هذا العتاب ؟

فقالت في أسى :

– لأنهن لم يزرنها في مرضها .

– ولماذا لم يزرنها ؟

فقالت وهى تشيح بوجهها عنه ، حتى لا يرى الاسى الذى ارتسم في عينيها :

وكيف يزرنها ؟ !

– لقد كن جاراتها في يافا .

وتقدم الطبيب وقد لزم الصمت ، ووصل الى حيث كانت الام راقدة ، وراح يفحص عنها ، واحسست به ففتحت عينيها ، فقال لها :

– كيف انت الآن ؟

فقالت في صوت واهن :

– الحمد لله .

والتفتت الى ابنتها وقالت :

– قدمى الكرسي للدكتور ليستريرج .

– ثم عادت تنظر الى الدكتور وتقول :

– آسفة . ليس عندنا هنا مقامد مريحة ، كنا نملك أشياء كثيرة طيبة في يافا .. كان لنا بيت كبير فيه اثاث فاخر ، وكانت مندنا اكثر من خادمة ، وكانت لنا دار للسینما ، وما اكثر الاصدقاء

الذين كانوا يزوروننا كل ليلة ، كان أصدقاء زوجي يملأون القاعة  
الواقعة في الطبقة الاولى ، وكانت صاحباتي يقضين الامسيات معي  
في الحريم ، وكانت ..

وصمتت ، فقد كان الطبيب يدفع في بطء ما في الحقنة في  
الوريد ، واخرج الابرة في حرص ، ولم تنبثق قطرة واحدة من الدم .  
ونظرت اليه في تساؤل ، وقرا في عينيها اللابنتين انها تسأله عن  
حالتها ، فقال لها وهو يحاول أن يبدو هادئا :  
- انت بخير .

فقلت في ضعف :

- انا واثقة اننى سأعود الى دارى ، ولن اموت الا على فراشى  
في يافا ، واهلى وصاحباتي حولى ، يكون لموتى .  
فقال لها الطبيب وهو ينتزع من فمه بسمه :  
- وانا واثق أنك ستعودين الى يافا .  
ودار على عقبه وهم بالانصراف ، ومس اذنيه صوتها الواهن  
وهى تقول :

- ليتك تزورنا في يافا ، بعد أن نعود .

- ان شاء الله سأعود .

وسار وسارت الابنة خلفه ، حتى اذا ما بلغ الباب الخارجى  
قالت له الابنة :

- شكرا لك يا دكتور .

- عفوا .

ووقف برهة دون ان ينبس بكلمة ، ثم قال للابنة :

— تشجى .

وانصرف وهو يوسع من خطوه ، وقد فطنت الابنة الى كل  
شئ .

ووقفت الابنة وقد تسمرت قدماها فى الأرض ، وبدأت مشاعر  
الخوف تزحف الى جوفها ، وراح ذهنها يعمل فى سرعة ، فقررت  
ان تبعد من يستدعى اختها وأطلت برأسها من باب الشقة ، ونادت  
البواب الذى كانت غرفته على بعد خطوات منها ، وتوسلت اليه ان  
يذهب الى اختها يخبرها ان حالة امها قد ساءت وان تأتى على  
مجل .

وانطلق البواب ، وعادت الى كرسيها وأطرقت تفكر فيما ينتظرها  
ستذهب امها وتنقضى الآمال ، وتعود اختها الى زوجها ، وتبقى هى  
وحدها بلا أنيس ولا جليس ، ستتجرع كأس الغربة والتشريد مرة  
اخرى .

وسالت دموعها على خدها ، واستشعرت رغبة فى الشئج ،  
لتنفس عن صدرها ضغط الاحزان الذى يكاد يكتم أنفاسها ، ولكنها  
خشيت ان تنبه امها الى بكائها ، فنهضت فى انفعال وذهبت بعيدا  
لتنخرط فى البكاء .

ومرت ساعات وهى فريسة أفكارها السود ، المستقبل طريق  
طويل مظلم ، محفوف بالمناعب والآلام والعرق والدموع والوحدة  
الموحشة المضنية القاتلة ، ولولا بصيص من الامل فى العودة الى  
الوطن الحبيب لانفجرت جنباتها من القنوط .  
وزفرت زفرة طويلة وقمغمت فى صوت مسموع :

— آه لو نعود !

ثم انفجرت باكياً من الحنين .

وسمعت طرقاتاً على الباب فجففت دموعها بكمها ، وذهبت تفتح لاختها وقد أحست بعض الراحة ، فلم تعد وحيدة ، وإن كان ذلك إلى حين . ونظرت القادمة إلى اختها ورأت احمرار عينيها فقالت في هلع :

— ماذا جرى

— ثقل عليها المرض ، إنها تفيق قليلاً ثم تروح في غيبوبة وفجأة تنادي خادمتها أحسان وتطلب منها أن تذهب إلى المعلم في السينما لتقول له إن الست الكبيرة في حاجة إلى نقود أو تأخذ في عتاب صاحباتها في يافا لأنهن لا يزرنها وصمتت قليلاً ثم قالت :

— قال لي الطبيب قبل أن ينصرف « تشجى » .

واطرقت الاختان ، السمينتان المترهلتان التي مشى الشيب إلى رأسها خائفة من المستقبل الفارغ البغيض الذي يترقبها ، بينما كانت الأخرى تستشعر حزناً لفراق أمها أن يرتفع لمرتبة الهلع .

وسارت الاختان حتى بلغتا السرير ووقفتا تنظران إلى الأم المجهدة الهزيلة المغمضة العينين ، وراحت الابنة المتزوجة تناديها همساً ، ثم أخذ صوتها يرتفع وما من مجيب ، فانبثقت في مآقيها الدموع ، وتناولت يد أمها في يدها وراحت تضغط عليها في حنان ، كانت تنقل إليها باللمس كل ما عجزت عن أن تنقله إليها باللسان .

وجلست الاختان صامتتين ، عيونهما على الأم العزيزة ، وأفكارهما تشرذم بعيداً ، وراح الوقت يمر وئيداً وئيداً ، وارتفع صوت الأم الواهن يبدد السكون المخيم على المكان ، قالت :



— احسان . افتحى غرفة الاستقبال . قولى لعائشة وفاطمة وزينب اننى قادمة .. احسان ! اين شالى ؟ لقد جئن اخيرا .. جئن كلهن معا لزيارتى .. شكرا لهن .. انهن وفيات ولكننى سريعة العتاب .. سأعتذر لهن لاننى اسأت الظن بهن .. احسان .. احسان ، وعادت الى صمتها ، ووقفت الابنة المتزوجة عند رأسها تناديهما ، ووصل الى سمعها صوتها ، فقالت الام :

— فردوس ؟ ! انت هنا ؟ . عودى يا حبيبتى الى سريرك ، لم يأت أبوك بعد ، لن يغيب طويلا ، سيعود .. سيعود من السينما . وثقلت أجفانها ، وسكت لسانها ، وراحت تلتقط أنفاسها فى جهد ، وتبادلت الأختان نظرات كلها أسى ، وتحركت فى صدريهما مشاعر بانث آثارها فى الدموع المترققة فى العيون .

ومر بعض الوقت ثم ارتفع صوت الام يسرى فى المكان وقد نمت ذبذباته عن فرحة :

— احسان : اسرعى افتحى الباب ، لقد جاء سيدك .. بل سيدنا جميعا ، فردوس تعالى .. لقد حضر أبوك .. احببى كلهم هنا .. هنا معى .. اننى اليوم سعيدة ..

وادبر النهار ، وراح الظلام يزحف من كل مكان ، وظلت انهار وفردوس فى مكانهما لا تتحركان ، كانتا مشغولتين بالأفكار المتلاطمة فى راسيهما ، وبوخز كلمات الام التى نكأت جرح نفسيهما ، وتأوهت انهار دون وعى من وطأة المشاعر القاسية الجاثمة على روحها ، وانتهت بعد ان ندت منها آهة توجع حارة منطلقة من جوف يتلظى بالنار ، فالفت المكان غارقا فى الظلام ، فقامت وادارت الزر

الكهربى فاذا بالنور ينسكب من المصباح ويفيض حتى يغمر الغرفة كلها ، وينساب ليجالده جحافل العتمة المسيطرة على الردهة وما بعدها .

والتفتت فردوس الى اختها وقالت :

— الا تأكل شيئا ؟

فقالته انهار وهى تهز رأسها أسفا :

— مضى يومان ولم يدخل جوفها شيء .

— هل اخبرت الدكتور ؟

— نعم . وطلبت منه ان يغذيها بالحقن ولكن أبى .

وأشاحت انهار بوجهها ، لم تكن قادرة على ان تلتقى عينها بعيني اختها ، كانت على ثقة من ان الطبيب قد أبى ان يوصى بالتغذية عن طريق الحقن ، لانه يعلم انها لا تملك ثمن الدواء ، لقد جاء ثلاث مرات دون ان تدفع له أجر زيارته .

وعاد الصمت ليسيطر على المكان ، واخذت تقلصات وجه الام تنبسط ، وراح الدم ينساب فى وجنتيها الدابلتين فيترقرق محياها صحة ، وانزاحت الأثقال الراححة على جفونها ففتحت عينيها ، وانتشر بشر عجيب فى مقلتيها وارتسمت بسمه على شفتيها ، ودبت فى أوصالها قوة مفاجئة كأنما مستها عصا سحرية ، فهمت قاعدة فى فراشها ، وخفت اليها ابتهاها يسندانها بأذرعهما ، فاذا بها تقول فى بشر وهى تلتفت :

— هاقد عدنا .. عدنا الى دارنا .. فردوس .. انهار .. هذه غرفتكما

كما هي .. سريرك يا أنهار لازال منكوشا كما تركناه ، وثيابك يا فردوس  
لا زالت معلقة ، يا فرحتاه ! اننا هنا .. في بيتنا .. في يافا .  
احسان .. تعالى .. افتحى هذا الشباك .. ما أرق نسيم البحر  
الذى يهب علينا .

وضفطت على يدي ابنتيها اللتين كانتا في يديها وقالت :  
- اننى سعيدة .. لا أكاذ أصدق اننا عدنا .. احسان أزيحي  
هذه الستارة حتى أرى مئذنة العجمى .. ها هي ذى المئذنة تاتلق  
بالنور .. اننى أرى يافا .. يافا كلها .. اسمع موسيقى .. موسيقى  
عذبة .. موسيقى آتية من كل مكان .. أنظري يا أنهار وأصيخي  
السمع .. أهى موسيقى منبعثة من السينما .. لا .. لا .. انها اعذب  
موسيقى سمعتها .. انها موسيقى ملائكية آتية من السماء .. حتى  
السماء تحتفى بعودتنا .

احسان ! افتحى النافذة القبلية .. أريد أن استنشق عبير أزهار  
البرتقال .. آه . اننى أشم أرق عبير ملئت به رئائى . وعلاها البهر ،  
وراحت تستنشق الهواء فى جهد ، وخف ضفط يديها على يدي  
ابنتيها ، وثقلت أجفانها ، وراحت تقول فى ذهن :

- لماذا اغلقتم النوافذ ؟ ! لماذا اسدلتم الأستار ؟ ! لماذا حجبتم  
عننى نور المئذنة ، ونسيم البحر وعبير أزهار البرتقال ؟ ! لا زلت  
اسمع الموسيقى ، انها ترفه .. تزداد رقة وعذوبة ، انها أرق من  
نسيم البحر ، واعذب من عبير أزهار البرتقال

وثقل جسمها ، وارتخت ذراعها ، فراحت ابنتاها تتعاونان

على تمديدها في سريرها في حرص ، واستقرت على الفراش ، وهي  
لكاد تنوء من الاعياء .

وضاق صدرها بروحها ، فراحت تردد آخر أنفاسها :  
— احسان .. أنهار .. فردوس .. البحر .. العجمى .. يافا ..  
ازهار .. البرتقال .

وخفت صوتها ، وراحت تجود بآخر أنفاسها ، فقالت لها انهار  
في لهفة وفي عينيها دموع ، وصوتها مخنوق :  
— أمى .. تشهدى .

ومالت فردوس فوقها وراحت تقول :  
— أمى .. لقد عدت .. لقد عدت .. انتهت غربتك .. انتهت أيام  
شريك ..

وسقط رأس الأم على صدرها ، ولفظت نفسها الأخير ، وارتمت  
انهار عليها وراحت تمرغ وجهها في صدرها وهي تبكى وتنتحب ،  
اما فردوس فقد قالت والدموع تجري على خديها :  
— والله لأحملن رفاتك معى يوم نعود .

# فاجرة

- ١ -

سارت فردوس في الغرفة الواسعة ، وهي تحمل بطانية رمادية من الصوف ، واتجهت الى الأريكة التي كانت تعدها لتكون سريرها للوافد الجديد ، وطوت البطانية ووضعتها في عناية فوق طرف الأريكة الخالي ، فقد كان في الطرف الآخر وسادة صغيرة ، واسدلت على الجميع مفرشا أبيض ، راحت تمرر يدها عليه لتبسّط ثنياته . واتجهت الى الكنسول وراحت تجره ، واذا بزوجها سويلم يدخل ، ويقول لها :

— ماذا تفعلين ؟

— اقرب الكنسول من الفراش ، ليضع كتبه وأدواته في ادراجيه ، ويستعمله مكتبا . ليس عندنا مكتب .

— ولماذا لم تنادينى لاساعدك ؟

— لم أشأ أن أتعبك .

فقال وهو يرمقها في ود :

— تعبك راحة .

وشعر اكمام جلبابه واسرع اليها يعاونها .

كانت فردوس في الخامسة والعشرين ، قمحية اللون ، واسعة العينين ، يلمع سوادهما لمعانا أخاذا ، وبياضهما ناصعا ، وأنفها متناسبة وشفتاها رقيقتين منطبتين على فم اشبه بجرح دقيق تتجمع دماؤه لتتفجر ، وغار طابع الحسن في ذقنها ، وشعرها في لون الفحم يبدو فيه الفرق الأبيض كشریط من العاج مد في وسط مخمل اسود ، وغطى مؤخر رأسها منديل أبيض ، تدلت من حواشيه احجبة صغيرة شغلت من خيوط في لون العقيق ، ونبتت من تحت المنديل صغيرة غزيرة ، طالت حتى لمس طرفها أعلى جزء في عجزها .

وكانت ترتدى ثوبا فضفاضا ناصع البياض ، كان أقرب الى جلباب الرجال ، ولكنه عجز عن أن يكتم سر الجسد الذى يحويه ، فالثديان المتلثان يهتزبان في رعونة كلما اقبلت أو ادبرت ، والأرداف تتكور كلما مالت تلتقط شيئا ، أو اثنت على السرير أو الأرائك أو المقاعد تعيد تنسيقها ، أما الخصر النحيل ، والبطن التى لم تعرف الحمل . فقد كان يفضحها ضمها لحشية كبيرة بين ذراعيها ورفعها على صدرها ، فالثوب يشد حول الجسد شدا ، ويكشف سحره .

وكان سويلم يخطو نحو الستين ، طويل القامة ، محدودب الظهر قليلا ، جاف الوجه ، مضضع العينين ، تبعثرت في ذقنه بعض شعرات بيض . يرتدى جلبابا من الصوف وإن لم يكن الشتاء قد اقبل ، ويضع على رأسه طاقية من الصوف .

ووضعا الكنسول بالقرب من الأريكة ، واخذت فردوس تنظف

مرآته بأوراق صحيفة ، ووقف سويلم يتطلع اليها بعينين راضيتين ،  
وقال :

— اهو ابن خالتك ؟

فقال فردوس وهى مستمرة فى عملها ، وصدرها يترجرج :  
— امه ابنة خالتى .

وصمت قليلا ، ثم قال :  
— كم سنه ؟

— والله لا ادرى . آخر مرة رأيته فيها كان طفلا صغيرا .  
فغمغم :

— طفل صغير ؟ !

ثم قال فى صوت فيه دهش :

— وماذا نفعل لو بكى ليلا وطلب العودة الى امه ؟

فضحكت فردوس ضحكة ناعمة وقالت :

— تحمله على كتفك وتذهب به الى امه .

فقال فى فزع :

— اخرج فى برد الليل ؟ والله لو بكى ..

ولم تدعه يتم حديثه ، بل قالت وهى تضحك :

— اطمئن لن يبكى ، كانت آخر مرة رأيته فيها من تسع سنوات

بعد زواجنا بسنة ، كان لم يذهب الى كتاب القرية بعد ، وقالت لى

امه : لما ياخذ الابتدائية سأبعث به اليك فى البندر ، ليدخل مدرسة

الصنائع .

كنت احسبها تمزح ، فقلت لها مجاملة : سأضعه فى عينى ،

ولم تنس ما دار بيننا ، ذكرته في رسالتها كلمة كلمة ، كأنما  
نقش في رأسها .

ورفعت فردوس كرسيها من الخيزران في يدها ووضعت تحت  
حلقة تدلت من السقف ، ثم خرجت من الغرفة ، وما لبثت أن  
عادت تحمل مصباحا كبيرا ، ياتلق معدنه ، وتشمخ زجاجته ،  
ودفعت بالمصباح الى زوجها ، ووقفت على الكرسي ، ومدت يدها  
وقالت :

— هات .

فقال لها وهو يمد يده بالمصباح :

— خذي .. ياخذ عدوك .

وشبت على اطراف اصابعها وهي تضع المصباح في الحلقة ،  
فشد جسمها وانحصر الثوب قليلا عن ساقها الممتلئة ، فمد سويلم  
يده وراح يمررها على ساقها في حنان ، فرنت اليه في دلال ، وقالت  
في خبث :

— اقع .

وضحكت ضحكة طويلة منغمة ، كلها نداء ، فابتسم سويلم  
في مراة ، وقفزت فردوس في خفة ، وارتمت في صدره ، فوضع  
شفته على خدها وطبع قبلة باردة ، واحست تشعيرتها في  
روحها .

وارتفع رنين جرس « كرتة » ، فأسرعت فردوس الى الشباك  
ونظرت ثم التفتت الى زوجها وقالت :

— عرفه حضر .



وعادت الى زوجها مهرولة ، واخذته من يده ، وأنطلقا لاستقبال  
الوافد الجديد .

وقفا عند رأس السلم يترقبان ، كان سويلم يحس بعض الضيق  
فقد ألف حياته وما كان يحب أن يعتورها التغيير ، أما فردوس فقد  
كانت تستشعر رغبة في استكناه طلبة الطفل الذي لم تره منذ  
تسع سنين .

وراح عرفه يصعد في الدرج وهو مطرق الرأس ، يعلق في ذراعه  
صرة بها ثيابه ، ويحمل في يده الأخرى حقيبة عتيقة من الجلد الأصفر  
أسودت اطرافها من العرق ، وأحس أن هناك من يرقبه عند رأس  
السلم ، فنظر دون أن يرفع رأسه ، فألقى سويلم وفردوس ينتظرانه  
فخفق قلبه في شدة واضطرب ، وأخذ يصعد متمهلا ، لعل القلق  
الذي نزل به يهدأ ، ولعل أنفاسه تنتظم .

ودنا منهما ، فإذا بهما يتطلعان اليه وقد فغرا أفواههما ، ولاح  
الدهش في عيونهما ، كان فتى مكتمل النمو ، عريض الكتفين ، قوى  
الساعد . وانشرح صدر فردوس ورفعت على شفثيها بسمة عريضة  
بينما زاد انقباض سويلم ، ولم تفلح الفرجة التي لاحت بين شفثيه  
في أن تخفى عبوسه .

ووصل اليهما وعيناه حائرة بينهما وفتح فمه ليلقى عليهما  
تحية ، ولكن حبس صوته فارتبك ، فأسرعت فردوس تقول وهي  
تمد له يدها :

— أهلا وسهلا — شرفتنا .

والتفتت الى زوجها وقالت ، ويدها لا تزال قابضة على يد  
الفتى :

- عمك سويلم .  
وارخت يدها القابضة على يده ، فمد يده ومال ليقبل يد الشيخ  
الممدودة لمصافحته ! ولكن الشيخ سحبها بعيدا عن الفم المزموم .  
وساروا جميعا ليدخلوا الشقة ، وقد تباينت مشاعرهم ،  
فردوس تختلس النظر الى الفتى في سعادة ، وسويلم يرمقه في  
برم ، وهو سائر كالمدهول يكاد ينكر نفسه .  
وبلغوا الغرفة التى اعدت له ، وقالت فردوس وهى تفسح له  
الطريق :

- تفضل .  
وتقدم وحده ، وجعل يتلفت فى ارتباك ، ووقعت عيناه على  
الكنسول فاتجه اليه ليضع الصرة والحقيبة فوقه ، والتقت عيون  
الزوجين فهمس فردوس :  
- والله لو بكى فى الليل فلن يحمله على كتفه أحد غيرك .  
ورنت فى المكان ضحكتها المنعمة اللاحقة بالنداء .

## - ٢ -

سرى في سكون الليل صياح ديك ، واذا بصيحات الديوك  
تجاوب من كل مكان ، وتسلفت خيوط في لون الرصاص من خصائص  
الشباك تجاهد لتزحزح الظلام الثقيل الجاثم على أنفاس حجرة نوم  
الزوجين ، وهتك الصمت وقع اقدام في الطريق ، وأصوات عجلات  
عربة مقبلة من بعيد .

وراحت الخيوط الرصاصية تتحول الى خيوط من الفضة ،  
فبدت اعمدة السرير النحاسية الصفراء الشامخة كأعمدة من  
الأبريز ، وتقلب سويلم في الفراش وتمطى ، ثم ازاح الغطاء عنه  
ونفض ليذهب الى دورة المياه يتوضأ .

وألقى نظرة على فردوس النائمة الى جواره ، فألقى ساقها  
قد تعرت ، فمد يده وسحب الغطاء فوقها وسار ، وما أن غادر  
الغرفة حتى دفعت فردوس الغطاء عنها بقدمها ، ورفعت ساقها  
الى أعلى فأنحسرت ثيابها عن أفخاذها ، ودارت في السرير نصف  
دورة ، وبحركة رشيقة كانت منتصبه على قدميها وانطلقت الى  
غرفة عرفة ، فتحت الباب ، فألفت عرفة جالسا على الأريكة التي  
أعدت لنومه ، فقالت له :

- يسعد صياحك .

- يسعد صياحك .

وتناولت من خلف الباب قصبة من الغاب مجوفة ، وتقدمت حتى  
وقفت تحت المصباح ، ووضعت طرف القصبة في الفتحة المجوفة  
بقعر المصباح ونفخت في القصبة ، فانطلقا النور الخافت الذي كان  
يتراقص كأنما يترنج قبل أن يلفظ انفاسه .

وذهبت الى الكرسي الخيزران ، وفطن عرفة الى ما ستفعله  
فقد رآها مرارا تقوم به ، فكان أسرع منها الى الكرسي ، وحمله  
بيده ، ووضعته تحت المصباح ، ثم وقف فوقه ، ليتناول المصباح  
من الحلقة المدلاة من السقف ودنت فردوس منه ، ورفعت رأسها  
ترمقه ، وفي عينيها غبطة ، وفي صدرها نشوة ، باتت تستشعر  
مشاعر جديدة منذ جاء الى البيت ، تدسست في روحها يقظة بعد  
طول هجوع ، كادت الشيخوخة المبكرة تنجح في اسدال أستره  
الثيفة على قلبها الشاب ، فاذا بوفوده يهتك الأسجاف ويجعل  
القلب يرفرف في انطلاق . وكادت كنوز قلبها تغور ، واذا به يفجر  
المكنون ، فتفتح مهجتها تفتح الزهر للندى ، وترق أحاسيسها  
رقة انفاس السحر ، ويتفرق في جوفها حنان دفاق ، وتدب في  
أوصالها حياة حلوة عذبة ، لها طعم حبيب مشتهى ، لم تذقه من  
قبل ، منذ عرفت كيف تتذوق الحياة .

حرمت الأمومة سنوات ، فكبت أحاسيسها الرقيقة ، فلما  
جاء وجدت مشاعرها المدخورة المكنونة منفسا ، آه لو كان اصفر  
قليلًا مما هو لأجلسته على فخذاها ، وضمت الى صدرها ، وجعلت  
تعبت بأصابعها في شعره ، وطفقت تلثمه دون حرج هنا وهناك .  
وهبط عرفة والمصباح في يده ، وتحرك لينطلق به الى المطبخ

بعمره بالجاز ، فاعترضت طريقه ، ومدت يدها تتناول منه المصباح وعيناها على شفتيه ، تراودها فكرة ان تتقدم خطوة وتقبله ، ولكنها وادت وسوسة النفس ، واخذت عيناها تطرفان في اضطراب على الرغم من البسمة التي رقت على شفتيها .

ودارت على عقبيها وانصرفت ، وقلبا يخفق في خنان ، وقد انتشرت في جوفها رهبة لذيذة لها نشوة استكانت لها ، واخذت تغذيها بالأفكار . راحت تجتر ذكريات يوم الجمعة .. عرفة في غرفته لم يفادرها ولكنها تلمحه في غدوها ورواحها .. سويلم في البيت ممددا على كنية في استرخاء .. موعد صلاة الجمعة يقترب .. الزوج يطلب منها ان تعد الحمام .. موقد الجاز يطن .. البخار يتصاعد من الصفيحة الموضوعة فوق الموقد .. الزوج يدخل الحمام وعلى كتفه بشكير أبيض .. ترتفع طرقات الزوج على باب الحمام .. تفتح الباب في حرص لتدخل بسرعة قبل ان يدخل الهواء البارد .. تلتقي عيناها بعيني عرفه وهي تنسل الى الحمام يغض عرفه من بصره جياء .. يشرق وجهها بالابتسام .

انها تدلك ظهر الشيخ المتروور بالليفة والصابون في شدة ، انتقلت الحياة المتدفقة في جوفها الى ساعدها ، فتأوه الرجل وصاح فيها ان تترفق به ، ولكنها ظلت تدلكه في حرارة فأمرها ان تكف قبل ان تدق عظامه . وضحكت ضحكتها المنغمة اللاخرة بالنداء ، وخرجت وائر الصابون في يديها فأخذت تجففهما وهي ترنو الى عرفه منتشية .

وذهب الزوج لصلاة الجمعة ، وذهبت الى عرفه تلعبه

للاستحمام ، واغلق باب الحمام خلفه ، وانطلقت لبعض شأنها ،  
ولكن سرعان ما وجدت نفسها منجذبة الى الحمام ، وطفقت تغدو  
وتروح امامه ، وانفاسها تتلاحق . نبتت في اغوارها مشاعر كثيرة  
متباينة لا تدري كنهها ، كانت مزيجا من الامومة والرغبة والرهبة  
والاشتواء ، ومس اذنيها صوت ارتطام الكوز بالصفيحة ، فجفلت  
مفروعة ، ولكن ما لبثت ان عادت صاعدة هابطة امام باب الحمام .  
آه لو كان اصغر قليلا لفتحت الباب ودخلت بغسل له راسه  
وصدره وذراعيه وافخاذة وساقيه وقدميه ، وتصب عليه الماء  
صبا . انها لا تذكر انها قامت بغسل جسم غلام ، وانها تحس الساعة  
انها حرمت من لذة .

وهمس في صدرها هامس يسألها عما تفعله اذا دق الباب  
وطلب منها ان تدلك له ظهره ، ولم تجب عن السؤال ولكن سرت  
في جوفها مشاعر للذلة مغلفة بفشاء رقيق من الخشية .  
وتحركت اكرة باب الحمام . فهولت مبتعدة كأنما خشيت  
ان يراها قريبة من الباب فيفطن الى ما دار في خلدها ، وخزج  
يرتدى جلبابا مخططا مفتوح الصدر ، فقالت له :  
- نعيما .

- انعم الله عليك .  
واعترضت طريقه ، ومدت يدها تزرر له الأزرار المفتوحة ،  
وهي تقول :

- زرر صدرك ، الدنيا برد .. وانت خارج من الحمام .  
ولفحت أنفاسه الحارة وجهها ، فتلكأت في عملها تنعم بالخنر

اللديد اللذي سرى في كيانها ، ولححت قطرة ماء على جبينه ، مسحتها  
بكفها في حنان .

واستأنف سيره الى غرفته ، وذهبت الى الحمام تغسل له  
يابه . كان الغسيل بغیضا الى نفسها ، ولكنها لم تستشعر ذلك  
الضيق الذي كانت كلما جلست الى طشت الغسيل ، بل كانت  
تغنى في نشوة .

وافاقت من الاحلام اللديدة الدائرة في رأسها على وقع اقدام  
خلفها ، فالتفت فوجدت عرفه مقبلا ، فرمته في استفسار ،  
فقال لها :

— اساعدك ؟

— انى اعد الافطار .

فذهب ووضع الطبلية ، وماد الى المطبخ يحمل ما اعدته .  
وتحلقوا الطبلية ، فردوس وسويلم قد جلسا جنباً الى جنب ،  
وجلس عرفه امامهما ، واخذوا يتناولون طعامهم وهم يتحدثون  
احاديث شتى ، لا ينتظمها سلك ولا يربط بينها رابط .  
وتحركت فردوس لتريح رجلها ، فانحسر ثوبها عن فخدها ،  
ووقعت عينا عرفه على الفخذ العارية فأدام النظر ، ولمح الشيخ  
اتجاه العيون الخائنة ، فلكز فردوس بمرفقه وقال بصوت فيه رنة  
فضب :

— غطى رجلك .

وارتبك عرفه ، واسبل عينيه ، ودق قلبه في شدة ، وتدفقت

دعاء الخجل في وجهه فأحمر ، ومد يدا متخاذلة إلى الطعام وأعادها  
إلى فمه ، ولكنه لم يسغ ما يأكله ، فجعل يلوكه في فتور .  
وأجست فردوس ما يكابده الفتى ، فاشفقت عليه ، وضافت  
بما فعل زوجها ، وهمت بأن تقول شيئا ترفه به عن عرفه ، ولكنها  
خشيت أن تفتح بابا قد يؤدي إلى جرح شعوره ، فلاذت بالصمت .  
وبعد عرفه عن الطليعة ، فقالت له فردوس :  
- كل .  
- الحمد لله .  
ونفض ليحمل كتبه وينسل إلى مدرسته .



### - ٣ -

دق جرس المدرسة ايذانا بالانصراف ، فخف التلاميذ الى ملعب الكرة من كل فج ، واصواتهم عالية وضحكاتهم مجلجلة ، فقد ذهبوا ليشاهدوا المباراة التى ستقام بين فريق مدرستهم وفريق المدرسة الثانوية .

وانسل عرفه من رفاقه وانساب مسرعا صوب الباب ، وقابله احد زملائه وهو يحمل بوق فونوغراف يهتف فيه مشجعا مدرسته ومحيا الاصدقاء ، وخلفه شلة من التلاميذ يتصايحون ، فرفت على شفتى عرفه بسمة ، وانطلق فى طريقه دون ان يلوى عنقه ، فقد أصبح يتعجل ساعات الدراسة ليعود الى البيت ، بات يجد سعادة غامرة فى الحديث الى فردوس ، والاصغاء اليها ومشاركتها فيما تفعل ، والتمتع بدعاباتها .

ووضع المثلث الكبير وبعض أدواته تحت ابطه ، وراح يضرب فى الطريق المنساب بين الحقول ، وقد خلف وراءه اشجار الجازولين العالية التى تحدد مدرسته ، وامتدت على جانبيه خضرة تباينت ألوانها واشكالها وثمارها ، الخبيزة كأنها دوائر من مخمل أخضر ، واوراق الترمس كأنها من رسم فنان سريالى ، لا تمائل فيها ولا تجانس ، والطماطم كأنها جواهر انسدت عليها أوشحة خضراء تخفيها عن العيون .

وبلغ طريق المدينة المرصوف ، فضرب الأرض بقدمه فى قوة

مرات متتابعات ليزيل القبار العالق بحدائه ، ثم استأنف سيره  
ووسع من خطوه ، وجعل يتماشى فى رشاقة العربات « والكاراتات »  
والدراجات التى تحمل على جانبيها أقساط اللبن ، القادمة من  
اليمن ومن اليسار على السواء .

ودلف الى حارة جانبية ، ليتجنب المرور على مغلق خشب  
الشيخ سويلم ، فقد مر عليه مرة وحياه ، فأبقاه معه حتى عادا الى  
البيت معا بعد صلاة المغرب . ومن ذلك اليوم تحاشى أن يمر عليه  
عند عودته ، حتى لا يحرم من الد ساعات النهار .

وبلغ الدار ، وصعد فى الدرج وثبا ، ونقر الباب بأصبعه نقرات  
خفيفة ، فأسرعت فردوس وفتحتة ، ولما وقعت عينها عليه ،  
قالت :

— أهلا بالباشمهندس .

ومدت يدها تحمل المثلث الكبير والأدوات الموضوعة تحت  
ابطه ، وسارا جنبا الى جنب الى غرفته ، يلمس كتفها كتفه مرة ،  
ويحتك ذراعه بذراعها مرات ، وتأتلق العيون ببريق اخاذ .  
ووضعت المثلث والأدوات على الكنسول ، ولححت لوحة بيضاء  
عليها خطوط رسمت بجبر أسود ، فتفرست فى الرسم برهة ،  
دون أن تفهم شيئا ، فقالت . وهى تتطلع الى صورة عرفة المنعكسة  
فى المرآة :

ما هذا ؟

فقال وهو يدنو منها :

— رسم لعمل إبريق .

ووقف خلفها ، واخذ يتطلع الى الرسم من فوق كتفها ، وهى  
تعاود النظر لعلها ترى ابريقا ولكنها لم تر الا دائرة وخطوطا ، رفعت  
راسها وقالت وهى تنظر الى المرأة :

— أين الأبريق ؟

فمد ذراعه من خلفها ، وجعل يمرر اصبعه على الخطوط وهو  
يقول فى اعتداد الأستاذ :

— هذه دائرة قاع الأبريق ، واذا قص هذا الخط وهذا الخط  
وقرطسنا الورقة ولصقنا هذا الطرف بذلك الطرف تكون جسم  
الأبريق .

— وما هذه الخطوط ؟

— زخرفة فى الأبريق .

فقالت وهى ترنو اليه بطرف عينها :

— « ابريق الحنبلى كل ما يفرغ يمتلى » .

وضحكت ضحكتها المنفمة الداخرة بالنداء ، ورنّت اليه رنوة  
طويلة ، وابتسمت بسمة خبيثة ، ومالت قليلا فى دلال حتى مس  
ظهرها صدره فأحس خدرا للبدن ، والدماء الحارة تتدفق فى عروقه  
وتصعد خديه .

ودارت فى خفة دورة كاملة ، فأصبح صدرها امام صدره ،  
وقالت وهى تعبت فى أزرار قميصه :

— هل بعثت بك أمك الى هنا لتصبح سمكيا ؟

وتعلقت عينها بشفتيه ، لم تكن تنتظر جوابا ، بل كانت نفسها

فغريها أن تلف ذراعها حوله ، وأن تضمه إليها ، وأن تضع شفتيها على شفتيه ، وقال في صوت مضطرب ، تخنقه انفعالاته :  
- هذه تمرينات . نبدأ بالبسيط ثم نترج ، اننا ندرس هندسة السيارات في السنة الأخيرة .

وظلت عواطفها الثائرة تعربد في اغوارها ، فمدت يدها وربت على خده ، ثم انصرفت بسرعة لتفر بنفسها من نفسها .  
وراح عرفه يخلع ثياب المدرسة ، وارتدى جلبابه المخطط ، وجلس على حافة الأريكة ، ومد يده وتناول كتابا وفتحه ، وحاول أن يقرأ فيه ، ولكنه كان شارد اللب ، يحس رغبة في أن يذهب الى فردوس يعاونها فيما تفعله ، ويسعد بقربها .

ونحى الكتاب جانبا ، وقام ليذهب الى المطبخ ، فقد وصل الى سمعه طنين موقد الجاز ، وفطن الى أنها بدات في الطبخ ، ووقف بجسمه يسد باب المطبخ ونظر ، فالفها تنقى الارز في غطاء الحلة ، فقال لها :

- وانا ماذا افعل ؟

فقال دون أن ترفع رأسها :

- قشر البصل وخرطه .

وتحرك ، وقبل أن يصل الى البصل ، قالت له :

- قلب الحلة .

فانجه الى الحلة الموضوعة على النار ، وراح يقلب الخبيزة في الماء المغلي ، واستمر في التقليب حتى امرته ان يكف .

وراح يقشر البصل وهو يبعد وجهه عنه ، ولكن رائحته النفاذة

تسللت الى خياشيمه وحركت دموعه ، ولمحته وهى تتجه الى الحلة  
الموضوعة على النار فابتسمت .

وقلبت الحلة فى مصفاة تحتها وعاء ، وأخذت تدلك الخبيزة  
بيدها لتصفىها ، وهى تنظر اليه ، وبدأ فى تخريط البصل فسالت  
الدموع غزيرة من عينيه ، فضحكت ضحكتها الممدودة الناعمة  
وقالت :

— دع البصل وتعال صف الخبيزة .

فقال فى مكابرة :

— سأنتهى من البصل وأصفى الخبيزة .

ومدت يدها النظيفة تجفف له دموعه بطرف جلبابه .

وانتهى من تخريط البصل ، فمد يده يدلك الخبيزة معها فى  
المصفاة ، وارتطمت يده بيدها أكثر من مرة ، والتصق رأسه  
برأسها ، واختلطت الأنفاس ، وساد صمت قلق ، كان كل منهما  
ينعم بمشاعره ، ويقاوم الثورة المناجحة فى نفسه ، ويخشى أن يرفع  
رأسه ، حتى لا تفضح العيون ما تطويه الجوانح

ومر الوقت دون أن ينبس أحدهما بكلمة ، هى تتظاهر بالانشغال  
بالحلة الموضوعة على النار ، وهو الى جوارها يتطلع الى ما تفعل  
كأنها يريد أن يعبى درسا ، وان كانت عيناه تتسللان من جيب  
صدرها ، ليكشف سره .

وقال عرفه وقد اشرق وجهه :

عرفت كيف تطبخ الخبيزة .

فقالت فردوس وهى تدبر رأسها وتنظر فى عينيه .

— ستصبح باشطباخ قبل أن تصبح باشمهندس .  
وضحكت ولكزته بمرفقها في صدره في خفة ، فابتسم وتقدم  
خطوة وفي جوفه اغراء بأن يضع يده على كتفها .

وفتحت محبس موقد الجاز ، فخبث النار حتى خمدت ، ولكن  
النار التي كانت ترعى في أحشائهما ظلت تتلظى ، وتحركت ووضعت  
جردلا تحت الصنبور وراحت تملؤه ماء ، فراح عرفه يشمر عن  
ساعديه ، فقالت له :

— ماذا ستفعل ؟

— سأمسح الشقة .

— لا . اذهب وذاكر .

— والله لن يمسحها اليوم أحد غيري .

ومد يده وحمل الجردل ، وقبل أن يتحرك ، قالت له :

— انتظر . ارفع جلبابك حتى لا يبتل .

وقبل أن يضع الجردل على الأرض مالت وتناولت طرف جلبابه  
ورفعتة وراحت تشده في قوة حول وسطه وثبتت بعضه في بعض ،  
فصار الجلباب من تحت وسطه طبقتين ، وتعرت ساقاه ، ولاح  
فيهما زغب خفيف من الشعر .

وانثنى وبين يديه خيشة المسح ، وأخذ يمررها على البلاط  
في سرعة وهو يتقهقر ، وكاد يرتطم بفردوس فضربته بكفها على  
كفله ، وقالت :

— حاذر .

ونظر اليها من بين ساقيه المفتوحتين وابتسم ، فضحكت

فردوس ضحكة طليقة مرحة ، جلجلت في المكان ، حتى غطت على صوت المفتاح الذي دار في باب الشقة الخارجى .

وصكت ضحكتها مسامع الشيخ سويلم ، فتقدم على اطراف اصابعه ونظر ، فألقى عرفه منهمكا في المسح ، وزوجته قد علقت طرف ثوبها بأصبعها حتى لا يبتل ، وراحت تقول :  
- عرفه ! كفى ، وسطك انحل .

وتنحج الشيخ ، فدارت فردوس بنصفها الأعلى ونظرت ، وظل عرفه قابضا على الخيشة ، وأن راح ينظر من طرف عينه ، وقالت فردوس :

- بسم الله الرحمن الرحيم ، من اين دخلت ؟  
فقال الشيخ سويلم وهو سائر في طريقه الى غرفته :  
- من الباب .

ورمى عرفه بنظرة نمت عن ضيقه ، وزاد في مرارته لما رأى ساعدى الفتى المفتولين ، كان ينفس عليه شبابه ، ويغار من فتوته في أغواره ، وان لم يكن يعى حقيقة مشاعره . ودخل غرفته وفردوس خلفه ، واحس رغبة في تقريعها ولكنه كبج عواطفه ، خشى ان يستسلم لثورته فيبالغ في ايلامها ، وهو لا يحب ان يمزق قلبها ، فهو يهواها ويهيم بها حبا على الرغم مما يبدو منها من رعونة احيانا .

ووطن النفس على الصمت حتى تهدأ نفسه ، ويخبو شره ويختلى بها في الليل ، فيفضى اليها بما يريد ان يقوله وهو يداعبها .  
ومدت فردوس يدها تعاونه على خلع ثيابه ، وقالت :

— أحضر العشاء ؟ الخبيزة ساخنة .

— هيا .

وخرجت ، وبقي وحده يفكر ، وراح يمرر يده على جبهته ليمسح المشاهد البغيضة المتنافرة التي نبتت واختلطت في رأسه ، مرفه وهو يختلس النظر الى فخذ زوجته العارية ، وبائعات الهوى جالسات امام حوانيتهن ، فقد كان لفظ « الخبيزة » الذي كان يطلق على حيهن كفيلا باقامة الحى في ذهنه نابضا بالحياة وان كان قد اندثر من سنين بعيدة .

وتلملم ، وراح يغدو ويروح في قلق ، وارتفع صوت فردوس يدعو للعشاء :

— تفضل .

وانطلق مهرولاً ليفر من أفكاره ، وجلس الى الطبلية . وهو يمد يده الى طبق الخبيزة ، ولكنه توقف قليلا وتفرس في وجه عرفه ، ثم التفت الى زوجه ، فلما تبين من ان فخذها ليست عارية بدا ياكل .

وانتهوا من طعامهم ، وانسل عرفه الى غرفته ليستذكر دروسه ، واغلق الزوجان باب غرفتهما عليهما .

تمددا في السرير ، وأحكم سويلم الغطاء عليه ، وشرذ ببصره قليلا ثم قال :

— انى أفكر في عرفه ، لماذا يتجشم أهله ارساله الى المدرسة ؟  
لماذا يحرمون أنفسهم من معاونته ؟  
فقلت فردوس في حماسة :



ـ ليضمنوا له مستقبلا افضل . بعض سنوات من الصبر بعدها  
تزيد فائدته .

ـ انهم سيخسرونه الى الابد . لو ابقوه معهم وزوجوه لضمنوا  
نفعه .

فقال فردوس في انكار :

ـ عرفه يتزوج ؟ ! انه لا يزال طفلا .

فقال سويلم وقد لوى شفته السفلى :

ـ تزوجت اول ما تزوجت في مثل سنه .

فقال فردوس في سخرية :

ـ ولماذا كانت العجلة ؟

ولم يظن الى سخريتها ، وشرد يجتر ذكريات شبابه في نشوة ،  
( وقد آثر ان يطوى حقه على عرفه بين جوانحه ) بينما رن صوت  
فردوس في اعماقها وان لم تتحرك شفتها يقول :

ـ يا وكسه ، اخذتك لحما وتركتك لى عظمة ، مصتك مصا

وجئتني جافا ، آه لو تزوجتني وانت في الخامسة عشرة !

وتدفقت دماؤها الحارة في عروقها ، واشتعلت النار في جسدها  
فوضعت شفتيها المتلهبتين على شفته ، ولكنهما كانتا كجثة هامدة .

## - ٤ -

عاد في العصر مسرعا كعادته ليعاون فردوس ويعيش معها أسعد لحظات يومه ، وراح ينقر الباب باصبعه نقرا خفيفا ، ولم تخف فردوس اليه كعادتها ، بل ظل الباب موصدا مدة ، ومس اذنيه صوت هرولتها في قدومها فتأهبت حواسه لاستقبالها ، خفقان للذيد في القلب ، نشوة مدغدة في الصدر ، بريق خاطف في العين ، لسان رطب يمر على الشفتين .

وفتح الباب ، ولم تنبس فردوس بكلمة ، كان جبينها يلعب ، وحاجباها مزججان ، وخدها متوردا من أثر التنف ، وكانت يدها خلف ظهرها تخفي شيئا ، ففطن الى ان الحلوى لا تزال بين اصابعها ، فرفت على شفثيه بسمة وزاد تألق عينيه ، ورنّت اليه فردوس رنوة كلها خبث ، ثم هرولت الى غرفتها ، وواربت بابها .

ودخل غرفته ، ووضع كتبه وخلع ثيابه ، وجلس على الأريكة ولكنه لم يستطع ان يستقر فنهض وسار حتى دنا من غرفتها . ومد بصره محاولا ان يرى ما يجري هناك من فرجة الباب ، وهو يستشعر قلعا مشتهى ، ورغبة جامحة ، ومشاعر رقراقة تعريد بين جوانحه . كان يعرف حقيقة ما يجري خلف الباب ، فقد كان وهو غلام يرقب ما تفعله النسوة بالحلوى في اهتمام ، حتى ان كل تفاصيل العملية حفرت في ذهنه .

وعجز عن أن يكشف شيئاً ، ولكنه رأى بعين خياله فردوس  
وهى شبه عارية ، قد اضطجعت وراحت تزيل الشعر من كل مكان  
ينبت فيه من جسمها ، فتدفقت الدماء حارة في عروقه ، وراودته  
أفكار نائرة راحت تحرضه على أن يفتح الباب ، وأن يطفىء النار  
المشبوبة في أحشائه ، ولكنه كبح جماح نفسه جهادا وعاد الى  
غرفته وهو في شدة الانفعال . وألقى بجسمه على الأريكة ، وأخذ  
ينظر الى عروق السقف وهو ساهم . وشرد بذهنه ، فإذا به يجد  
نفسه وهو غلام لما يتجاوز السادسة من عمره يلعب في القاعة الى  
جوار أمه ، وفاطمة جارتهم الشابه المخطوبة التى تنتظر انتهاء موسم  
القطن لتزف الى زوجها تقبل وتقبل انها وحدها وقد ضاقت  
بوحدها وتلمس من أمى أن تسمح له بالبقاء معها لمؤانستها حتى  
يقبل أحد من أهلها الذين ذهبوا الى الغيط .

ورأى أمه وهى تطلب منه أن يذهب فى نبرات راضية ، كانت  
سعيدة بذهابه لتتخلص من شقاوته ، أو لتبعده حتى تستطيع أن  
تفعل فى حرية ما تتخرج من أن تفعله أمامه ، ورأى نفسه وهو  
ينهض متثاقلا ، فهو يحب أن يكون الى جوار أمه دوما لا يفارقها .  
وأخذته فاطمة من يده وهى تداعبه ، واتجهت الى دارها التى  
تبعد عن دارهم بضع خطوات ، ودخلا الى القاعة ، وأغلقت فاطمة  
الباب خلفها ، وسارت به حتى أوغلت فى القاعة ، ثم جلست فى  
الظلام وجذبتة من يده وضمتة الى صدرها ، وراحت تقبله .

فطن على الرغم من صغره الى أن قبلاتها تختلف عن قبلات  
أمه ، وقبلاتها حارة وانفاسها التى ترتطم بوجهه أكثر دفئا وسرعة ،

وصدرها في ارتفاع وانخفاض ، ويدها تضغط عليه في قوة وانفعال .  
 وطلبت منه ان يلف ذراعيه حولها وأن يضمها ففعل ، واستشعر  
 احساسا غريبا لما التصق صدره النحيل بصدرها الممتلئ ، وسكنت  
 الراحة فؤاده ، فاستكان لها وتركها تفعل به ما تشاء ، وهو سعيد .  
 غاية السعادة بما تفعل .

واستلقت على الارض وذراعيها حوله ، وجعلت تأتي أفعالا  
 لم يشهدها من قبل ، وهو يتلقى كل ما تفعل مفتوح الاحساس ،  
 يكتسب تجارب جديدة قبل الأوان ، واستمر لحظات يحس احساس  
 النائم الذي يعيش في رؤيا بهيجة .

وراح الوقت يمر وهو بين يديها ، يلبي رغباتها دون أن يجفل .  
 أو خشي في أوصاله رعدة ، كان سعيدا بالدنيا الجديدة التي تتهتك .  
 استارها امام عينيه المبهوتين .

وتركته بعد أن عرف أشياء لا يعرفها أغلب شباب القرية .  
 الا ليلة الزفاف .

وصار يتردد عليها في كل وقت تخلو فيه دارها من أهلها ،  
 وما أكثر ما كانوا يتركونها وحدها ، وكان يمضي أغلب الوقت معها  
 في دعاية ولعب وعناق ، وأصبح يتبعها ككلب أمين لا يفارقها .

وكرت الايام وهو سعيد بالعالم الجديدة التي راح يجوس .  
 خلالها ، وجاء يوم زفافها فحملوها الى دار زوجها ، وهو واقف .  
 ينظر ، يحس احساس الطفل المدلل الذي سلبوه دميته .

وغابت فاطمة من حياته ، ونسيها ولكن لم ينس الدرس الذي  
 لقنته ، فصارت لعبة ( العروسة والعريس ) هي اللعبة المفضلة عنده ،

راح يجمع غلمان القرية الذين في مثل سنه ويجمع الفتيات الصغار ويخطب من بينهم عروسا لنفسه ، ثم يقوم الأولاد بالطبل والزمير والرقص واطلاق الزغاريد بينما يأخذ هو عروسه ويختلى بها في ركن من بيت أو مكان مهجور ، ويأخذ في ممارسة ما علمته فاطمة .

وراح يستعرض في ذهنه فتيات القرية اللاتي لعب معهن لعبته المفضلة ، كن فتيات صغيرات غريرات بين يدي خبير مجرب ، وان لم يتجاوز السادسة .

وقفز بذهنه السنين ، ليغر من صور الصغيرات اللاتي لم تعد صورهن تثير في نفسه شهوة ، وراى حقلا ممتدا يبدو في ضوء القمر كأنما أريق على نباته ذوب من الفضة ، وهو يلعب فيه مع بعض الرفاق من الاولاد والبنات « الاستغماية » كان على اعتاب الثانية عشرة ، وكان يعتمد أن يختفى مع فتاة نامية في الجرن أو خلف الساقية ، وكان يطول اختفاؤهما ، يحاول أن يجبر الفتاة الى ما كان يجبر اليه الصغيرات الغريرات ، ولكنه يخفق فيكتفى بالضم والقبل .

وسرعان ما تزوجت الفتاة ، وقابلها بعد زواجها في خلوة ، فاسرع اليها يقبلها ، فقالت له وهى ترنو اليه من طرف عينها :

— اننا لا نقبل الآن .

وحسب يومها أنها تحذره من الاقتراب منها ، ولم يفتن الى أنها كانت تدعوه الى ما يشتهيها الا الساعة وهو يتململ في الأريكة ، ويدير وجهه ويمد بصره الى الباب الذى يخفى خلفه فردوس شبه حارية .

ونفض متوتر الأعصاب ، مرهف الاحساس ، تجرى الدماء الحارة في عروقه ، وتهجس في نفسه هواجس تستبد به وتدفعه دفعا الى حيث تختفى فردوس ، فيسير مسلوب الارادة حتى اذا ما دنا من الباب يستيقظ فجأة ، ويشتد وجيب قلبه ، وتسموه رهبة عرمة في مكانه ، ويتلفت حوله وهو زائغ البصر .

ومس اذنيه صوت مفتاح يدور في الباب ، فانخلع قلبه وطار. نفسه شعاعا ، وفر مرعوبا الى غرفته ، وهو يزفر في صوت مسموع ، فزاد اضطرابه خشية أن يصل زفيره الى مسامع الشيخ القادم فيفطن الى مشاعره الخبيثة التي تطفح بها نفسه .

ودخل الشيخ سويلم وهو يتلفت في ريبة ، فلما وقعت عيناه على عرفه وألفاه في غرفته وحده أثلج صدره ، وسار الى غرفته وهو يضرب الأرض بقدميه ويتنحنح ليوهم فردوس أنه على عهده لم تنبت في نفسه بذور الشك ، وأنه سليم القلب نقى الصريرة .

ودخل الشيخ غرفته ، وأشار اب عرفه بعنقه ليرى بعينه ما رآه. بخياله ، ولكن الشيخ أوصد الباب خلفه في رفق ، ومرب لحظات انطلقت بعدها ضحكة فردوس المنعمة الطويلة الداخرة بالنداء ، فأرهفت حواس عرفه جميعا ، واستيقظت فتوته فراح يغدو ويروح في الغرفة وقد اتسعت عيناه ، يبلل شفتيه بلسانه .

وخرج الشيخ من الغرفة مسرعا وفردوس تشيعه بضحكاتها ، وذهب الى حيث كان عرفه ، فاذا بجميع مشاعر عرفه تموت فجأة ، ولم يبق الا نبض يتردد برهبة خفيفة ، تركت اثرا في العيون المفتوحة .

واخذ الشيخ يجاذب الفتى الحديث في ود ، يسأله عن المدرسة  
وعما يفعله فيها وعرفه يرد ردودا مقتضبة وهو مطرق ، وتحدث  
الشيخ طويلا ورفع عرفه عينيه ينظر اليه ، فوقع بصره على خيط  
رفيع من الحلوى على خده ، فتيقن ان فردوس كانت تداعبه  
بالحلوى فغر منها ، وهمت بسمه بأن تولد في قلبه ، واذا بفول  
الغرة يتحرك ويبتلع البسمة ، ويأخذ في نهش جوفه ، فيطاطيء  
راسه اسفا ، وتنتشر مرارة نفسه حتى يكاد يتذوقها بغمه .

وخرجت فردوس من غرفتها ، وانطلقت الى المطبخ وظلت في  
غدو ورواح لا يجرؤ عرفه على أن يخف اليها يعاونها وان كان يشتبهى  
ذلك في أعماقه ، ولا يلوى الشيخ عنقه ليراها خشية ان تلتقى عيناه  
بعينيها فيضحك برغمه ، وهو لا يحب ان يظهر امام الصبي عابثا .

كان الشيخ يحب فردوس من كل قلبه ، يتمنى أن يشبع كل  
رغباتها ، ولكنه كان على ثقة من انه ليس كفئا لها ، فبينهما هوة  
من السنين سحيقة تعيب بالفتور علاقتهما ، لذلك كان يسرف في  
العطف والخضوع ويتحمل نزواتها راضيا ، لعل ذلك كله يعوض  
ملا يملكه .

وجاءت فردوس ووقفت عند الباب وقالت :

- تفضلا .

وتحرك الشيخ والشاب خلفه ، ومر الشيخ بفردوس وهو  
يغض من بصره ، ويكتم بسمه ولدت طلائعها على شفثيه ، ومر  
عرفه بها وراح يتفرس في وجهها الذي اشتدت حمرة من أثر  
الحلوى فاذا بمشاعره تتيقظ ، وبقلق شهى يتحرك في جوفه ،

وبرغبة عرمة تمور بين جوانحه ، وتسرى في بدنه رعدة محمومة ،  
فقد ارتبطت الحلوى في ذهنه بتصورات تشير شهواته .

وجلسوا حول الطبلية ، وقد أسبل كل منهم عينيه ، لم يكن  
أحدهم ليقدر أن تلتقى عيناه بعيون الآخرين ، ففي رأس كل منهم  
فكرة يحرص على أن تظل سرا مكنونا .

وراح عرفه يأكل في فتور ، وسرعان ما غادر الطبلية ، وانطلق  
الى غرفته وفتح كتابا وأخذ يقرأ فيه ، ولكنه لم يفقه مما يقرأ  
شيئا ، كان مشغولا عن كل ما حوله بالأفكار المعقدة في رأسه .

ودخل الزوجان غرفتهما وأوصدا بابها ، فنحى عرفه الكتاب  
وألقي به على الكنسول وتمدد في فراشه وأرخى لخياله عنانه ، فرأى  
نفسه في الدار في القرية وقد نام مع أمه وأبيه وأخوته في غرفة  
واحدة . كان يغمض عينيه وينام ملء جفنيه قبل أن يعرف فاطمة ،  
ولكنه بعد أن عرفها وعرف ما بين الرجل والمرأة كان يتظاهر بالنوم  
ويحاول أن يظل صاحيا ليرى ما يفعل والداه ، ولكن ظلام الغرفة  
كان ثقيلا ، وكان النوم يغلبه قبل أن يحس شيئا .

وراح يتململ في فراشه ، وصورة فاطمة حاضرة في ذهنه ،  
يتمثل ما كانا يفعلان فيزداد انفعاله وتزداد ثورة نفسه ، ومرة الليل  
في تصورات ولم ينم الا غارارا .



كان الليل يرخى أستاره ، والهلهو شاملا لا يعكره الا نقيق الضفادع ، ونباح كلب بعيد ، ونسيم الربيع يحمل أريج الحقول ، وراحت فردوس تتقلب في الفراش وتغطى وجهها بذراعها وهى مسجلة جفونها ، كانت تخشى ان تفتحها فيفر النوم من العيون .

وأخلت مشاعر الحب والحنين تنبثق في أفوارها ، واندلعت نار الصبابة في حناياها . واستشعرت رغبة مستبدة تمور بين الضلوع ، فتقلبت على جنبها بحيث أصبح وجهها ناحية الشيخ الذى كان يغط فى نومه ، ولقت ذراعها حوله وضمته فى قوة ، لتسكت الصراخ المنبعث من كل مشاعرها ، وظل الشيخ فى سباته ، لا يحس النار المتأججة فى الجسد الصادى الذى يهفو الى اطفاء الظما .

وفكرت فى أن تهز سويلم ، وان تعتمد أن ترتطم به فى قلبها حتى يطير النوم من عينيه ، ولكنها وادت الفكرة بعد أن ضاقت بها ، كانت واثقة فى انه حتى لو استيقظ واستجاب لدعاباتها فلن يهدى عواطفها المشبوبة ، بل سيزيد أوارها ويزيد فى ضيقها .

وراحت تزفر حمم صدرها ، وتحاول أن تغرى النوم ليداعب جفونها ، ولكن احساساتها المتوترة كانت تطرد الكرى ، وتجلب الى ذهنها أخيلة توقظ مشاعرها ، وتثير وجدها .

وسرى فى الجو مواء قطرة ، وراح المواء يتردد ويمتد حتى صار ائشه بالأتين ، كان مشحونا بدعوة صارخة للجنس ، فازدادت مشاعر

فردوس ارهافا ، وتضخمت رغباتها حتى ملأت جوانحها ، وأحسبت  
 كأن أبخرة من الاشتهاء تضغط صدرها حتى تكاد تكتم أنفاسها ،  
 فلم تستطع أن تظل راقدة ، بل جلست في سريرها مبهورة النفس .  
 وراحت تتلفت حولها فألفت الكون كله يستشعر اقبال الربيع  
 الا ذلك الجسد الغاني الملقى الى جوارها تتردد فيه الأنفاس كما  
 تتردد في منفاخ ، فضاقت به ، وتحركت في أعماقها مشاعر البفض  
 والكراهية .

وولدت في رأسها فكرة أن تذهب الى غرفة عرفه ، تصلح وضع  
 الغطاء عليه ، لعل حركتها تقتل ثورة عواطفها ، واستراحت للفكرة  
 فنحت الغطاء عنها ، وهبطت من السرير في خفة ، ووقفت تصلح  
 ثوبها ثم سارت على أطراف أصابعها حتى لا يستيقظ زوجها .  
 وخفق قلبها بين جوانحها ، وانتشرت مشاعر من القلق اللذيذ  
 في حناياها ، وانطلقت مسحورة تقودها عواطفها ، فقد صار رأسها  
 هواء . ودلفت الى الغرفة الفارقة في الضمت ، التي لا يقوى على  
 تبديد ظلامها النور الخافت المنبعث من المصباح المعلق في المطبخ ،  
 فطافت بها احساسات غاية في الرقة ما كان يعكرها الا ذلك الخوف  
 الواهن الذي لا تدري له سببا .

وتقدمت كالطيف الى حيث يرقد عرفه ، ووقفت تنظر اليه  
 وقد سرت فيها رعدة ، وجعلت تتطلع الى وجهه طويلا ومشاعر  
 كثيرة تنفجر في جوفها ، وأفكار غير واضحة بدأت تبذر بذورها  
 في رأسها .

ووقعت عينها على الغطاء الملقى على الأرض ، فعالت وتناولته

وراحت تبسطه على الفتى النائم ، ودنا وجهها من وجهه فاذا بأنفاسها الحارة تختلط بأنفاسه ، واذا بيدها ترفع وتأخذ في المرور على راسه في حنان دافق .

وثبتت نظراتها على شفثيه ، فاشتد وجيب قلبها ، وجرى الدم حارا في عروقها ، ومشى خدر لذيذ في أوصالها ، وطافت بها غيبوبة ووضعت شفثيها على شفثيه ، واخذت تقبله وهى ترتجف ، وهتك السكون مواء القطاة المشحون بالنداء ، فانهارت جذر حصونها المتداعية ولفت ذراعها حوله ، وطفقت تضمه اليها فى جنون .

واستيقظ عرفه على الضم والقبل فأخذ لحظة ، ولكن سرعان ما افاق من اثر المفاجأة وراح يندمج في الجو الذى وجد نفسه فيه . بفتة ، فلف ذراعيه حولها وجعل ضغطهما يشتد عليها كلما زادت حرارة مشاعره الفتية التى يثيرها أقل مداعبة .

ولفهما صمت لم يكن يعكره الا الأنفاس الملتهبة ، والهمسات المكتومة ، وصوت نشيج خافت ، وطفرت الدموع من عيني فردوس . لم تكن دموع الندم على الخطيئة التى تمارسها ، ولا على الشرف المندس ، بل كانت دموعا تنفّس عن النبوة المتفجرة في غزارة في اقوارها والسعادة المعربة في كل خلجة من خلجات نفسها .

ومر الوقت وهما غائبان عن الوجود ، انفصلا عن كل شيء الا عن نفسيهما ، بل زاد احساسهما بذاتهما ، وخبت النار التلغوية في الجوانح ، فانسلت فردوس وعادت وهى تسير على أطراف أصابعها ، وتصلح شعرها بيديها .

واندست في الفراش ونظرت الى الشيخ الفانى الذى يغط في

نومه ، فلم تتحرك مشاعر الاشمئزاز التى كانت تتحرك كلما قامت  
فى الليل وهى تتلوى من الظما وهو هادىء ساكن لا يستشعر  
ما تكابده من مشاعرها الثائرة .

وملت يدها ورفعت الغطاء عليه وأحكمته حوله ، ثم تمددت  
وقد وضعت رأسها على كفيها وشردت تفكر فى اللحظات المترعة  
بالممتعة التى مرت بها ، فلم تختلج فيها خلجة ندم ، بل كانت تستشعر  
سعادة طاغية ، وتمنى النفس بحياة كلها لذة .

وارتسم على محياها رضا ، كانت تحس زهوا انها انتقمت من  
المجتمع الذى ظلمها يوم قدمها ضحية الى ذلك الشيخ الذى لا يقدر  
عليها .

ومشى الفتور فى جفونها ، فنامت ملء عيونها ، وهى تشهق  
وتزفر فى انتظام ينم عن راحة تامة ، ورفت على شفيتها بسمة خفيفة  
تطوف دائما بالفارق فى حلم بهيج .

وأشرقت الشمس وهى فى نومها العميق ، وراح سويلم يغدو  
ويروح فى الغرفة وهو يتطلع اليها فى استغراب ، فما كانت تنام من  
قبل حتى هذه الساعة اعتادت أن تستيقظ معه فى الفجر تعد له  
القهوة ، وتلبى طلباته .

وتقلبت فى تكاسل وتمطت وفتحت عينيها فى فتور ، فلما وقعتا  
على سويلم ابتسمت وقالت :

— صباح الخير .

فقال وهو يرنو اليها فى ريبة :

— نوم العوافى . عيني باردة عليك .

فرفست الغطاء بقدمها ، ورفعت رجلها الى أعلى ، ثم قفزت  
من السرير في حركة رشيقة وأصبحت منتصبية على الأرض أمامه .  
واحست في أعماقها أن عليها أن تفسر أسباب السعادة التي تشع  
من عينيها ، والتي تستشعرها في كل حركة من حركاتها ، فنظرت  
الى زوجها في خبث وقالت :

— حلمت بالأمس أنك ..

ووضعت فمها على أذنه وهمست بكلمة ، ثم ضحكت ضحكتها  
الممدودة الذائخة بالنداء وتحركت سعيدة ، وقبل أن تغادر الغرفة  
التفت وقالت :

— اعد الافطار الآن أم بعد أن أستحم ؟

وقال في صوت خافت :

— لا داعي للعجلة ، نغسل بعد أن نستحمي .

وسرت في صدره غيرة لم يدر لها سببا .

- ٦ -

وصار سويلم يرقبها بعين ملؤها الريبة ، فقد أحس في أعماقه  
أنها تبدلت بعد اقبال عرفه ، وأصبحت امرأة أخرى أكثر فتنة ،  
وأشد رقة وعدوبة .

بات كلما نظر إليها ورأى ازدياد تورده وجنتيتها ، وتفتح نفسها ،  
وسريان حياة جديدة في أوصالها يستشعر بالغيرة تلسع روحه  
وبالضيق يقبض صدره ، وبمرارة تعصف بكيانه ، وبحسرة قاتلة  
تكاد تكتم أنفاسه .

إنها تتودد إليه توددا زاد على ما ألفه منها ، وكثر تقبيلها له ،  
ولكن قبلاتها تبدلت وصار لها طعم آخر ، لم تعد قبلات محبومة  
يحس حرارتها في روحه وإن عجز عن أن يستجيب لها ، ولا قبلات  
مجاملة ، ولكنها قبلات فيها رضا المرتوى وفرحة السعيد .

كان يرى تحت عينيها مولد تعاسة أخفقت ضحكاتها المنطلقة  
الزائفة بالنداء في أن تخفيها ، بل كانت تشعلها وتزيدها ضراما ،  
وقد اجتثت تلك التعاسة ونبت مكانها سعادة عرمة كدرت صفو  
حياته ، فقد كانت توسوس في نفسه باتهامات بشعة تزلزل أرجاءه ،  
وتثير في روحه كوامن الكراهية والبغض والغيرة .

وبلر في صدره الواهن قلق ، لم يعد يستطيع أن يستقر هادئا  
في مكانه ، كانت فكرة خبيثة تقرر رأسه فجاءة ، وصورة مقية  
تجمع بين زوجه وعرفه تحتل خياله فيفزع ، ويعود الى البيت

مهرولاً محمومًا ويضع المفتاح في الباب ويديره في حرص ، ويتقدم على أطراف أصابعه فيجدهما معا في المطبخ أو في غرفة الصبي ولكنه لا يرى ما يشفى قلبه ، فيضطر الى أن ينتحل عدرا لعودته المفاجئة ، ثم ينصرف وهو حائر لا يعرف له شاطئاً ، تعبت به أنواء نفسه ، وتلعب به أمواج مشاعره المتقلبة العنيفة .

واحس بها ذات ليلة وهي عائدة من غرفة الصبي فاشتد اضطرابه ، وربما قلقه ، وخنق قلبه في عنف ، فانتصب جالسا في سريره ، وقال في صوت متهدج نم عن انفعالات نفسه :

— أين كنت ؟

فلم تجفل ولم تضطرب ولم تقل انها كانت تقضى حاجة ، بل تجالت في هدوء :

— كنت في غرفة عرفه أحكم الغطاء عليه .

وصعدت الى جوار زوجها المنفل ، وقبلته قبلة هادئة ، ثم تمددت في فراشها وسرعان ما مشى الوسن الى أجفانها ، وراحت أنفاسها تتردد في اطمئنان ، وظل هو يرمقها في قلق يراوده شك ، وخطرت له فكرة أن يضغظ على عنقها الجميل بيديه ويكتم أنفاسها ، ومال نحوها واذا به يطبع على خدها قبلة .

كان يحبها من كل قلبه ، وكان في قرارة نفسه يحس أنه عاجز عن اطفاء ظمئها ، فكان لا يبخل عليها بشيء يملكه ، ويبالغ في ارضائها لعله يعوضها عما لا يستطيع أن يمدّها به ، فكان يغفر لها بعض نزواتها ، واذا ما فعلت ما يثير غيرته انفعل مدة ، وراح خلالها يجهد

نفسه في ايجاد المبررات التي تشفع لها عنده ، ويستمر في اقناع ذاته المتمردة حتى ترضى ، وتنقشع السحب المتلبدة في صدره .

كان هائثا قبل ورود ذلك الصبي ، ولكن صفو حياته تكدر بعد أن جاء عرفه الى البيت وأصبح موضع اهتمام فردوس ، فقد أصبح يقاسى وخز مشاعره ، ولسع سخريته من نفسه لغيرته من غلام أصغر أولاده أكبر منه !

وعاد بعد الغروب كما اعتاد أن يعود كل يوم ، وقد وطن العزم على أن يطرق الباب وأن ينتظر حتى تفتح له زوجته ، ففى هذا احياء بالثقة في نفسه وفي زوجته ، ولكن ما ان بلغ الباب حتى أخرج المفتاح وأداره في الباب في حرص شديد ، ودخل على أطراف أصابعه يتلفت .

كانت فردوس في غرفة عرفه ، الصبي ممدود في فراشه وهى تميل فوقه في حذب وتمرر يدها على جبهته في حنان ، وانقبض قلبه وأحس كان يدا قوية تهصره هصرا ، ومطرقة هائلة تدق رأسه ، وظلمة من الحنق تنسدل على ذاته فتعمى وعيه ، فيتقدم مسلوب الارادة ، كل ما يشاهده جارفة تغريه بالبطش بهما .

وشعرت فردوس به فلم تجفل ، ولم ترفع يدها عن جبهة الفتى ، بل زادت ذنوا منه وميلا عليه وقالت في هدوء :  
- سويلم ، ناولنى ليعونة من المطبخ .

ووقف سويلم ينظر مشدوها ، دون أن ينبس بكلمة ، كان غضبه قد بلغ نهايته ، وكان نفسه يتردد متتابعا في صدره ، وقالت فردوس :



— عرفه محموم ، أظن انه سار مدة في الشمس .  
وسرعان ما تبخرت مخاوف سويلم ، وصفا جوفه وسلم  
قلبه ، فقال ناصحا :  
— صبي في أذنيه ماء وملح .  
فقالت فردوس وهى ترفع عرفه بين يدها وتصلح الوسادة  
تحت رأسه .  
— آتني به .  
وذهب الشيخ الى المطبخ يذيب الملح في الماء ، ومالت فردوس  
على الصبي تقبله وتضمه الى صدرها .  
وعاد الشيخ بكوب به ماء أذيب فيه ملح ، ومدت فردوس يدها  
لتأخذ منه الكوب ولكنه تقدم وراح يصب الماء في أذني الفتى ،  
ولما انتهى من عمله التفت الى فردوس وقال :  
— من الأفضل أن نتركه وحده يستريح .  
وسار وهو يحسب أن زوجه ستتبعه ولكن فردوس بقيت الى  
جوار الفتى تزيد حرارته ارتفاعا بقبلائها .  
ودخل سويلم غرفته وأخذ يخلع ثيابه وحده وهو يستشعر  
ضيقا ، وتريث ولكن فردوس لم تقبل ، فنادى :  
— فردوس... فردوس .  
فأقبلت متبرمة وقالت :  
— ماذا تريد ؟  
فقال وهو يشيح بوجهه عنها . حتى لا ترى الكدر في عينيه :  
— أعدى العشاء .

وزهبت الى المطبخ ، وسرعان ما كان الطعام معدا ، وعادت الى زوجها وقالت :

— العشاء عندك .

وهمت بالانصراف ، فقال لها :

— الا تأكلين ؟

— كل انت .

وانطلقت الى غرفة عرفة ، وجلس الزوج يتناول طعامه وهو يتلفت ، يحس كراهية لذلك الفتى الذى سلبه زوجته ، وجعله يأكل لأول مرة وحده .

وقام الشيخ ولم يسخ طعامه ، ودخل غرفته وجلس ينتظر عودة فردوس ، ولكنها ظلت الى جوار الفتى تمرضه ، فضاق صدره ونفذ صبره ، ونادى فى انفعال :

— فردوس .. فردوس .

واتجهت فردوس اليه وهى ضيقة بندائه ، ووقفت أمامه وقالت فى استخفاف :

— نعم !

فقال غاضبا :

— نريد أن ننام .

فقالت وهى ترفع الفطاء عن السرير :

— السرير أمامك .

فاتسعت عيناه الضيقتان ، وقال فى انكار :

— وانت ؟

— كيف أتركه وحده وهو مريض ؟ !

فقال في فزع :

— اتقضين الليل في حجرته ؟

فقالت في هدوء وهي تبتسم :

— وماذا في ذلك ؟ !

— وأين تنامين ؟

— على الأرض بجوار فراشه ، حتى إذا احتاج الى شيء لبیت

تداعبه ،

فقال الشيخ في انفعال :

— لا . لن يكون شيء من ذلك .. ستنامين هنا في سريرك .

وأحسب الثورة في نبراته ، فقالت وهي تدنو منه وتداعبه :

— لا تحزن ، سأنام الى جوارك :

وأخذت في إعداد فراش على الأرض بالقرب من السرير ، فقال

الشيخ في دهش :

— ماذا تفعلين ؟

فقالت دون أن تلتفت اليه :

— سينام معنا حتى لا أضطر الى أن أذهب اليه مرارا في الليل

لاطمئن عليه .

فقال في ضيق :

— ألا تتركيه وحده في غرفته ليستريح ؟ !

فقالت وهي تدنو منه وعيناها في عينيه :

— انه مريض .

ومالت على الشيخ وطبعت على خده قبلة لم يرتج لها ، بل  
حركت وساوسه ، بات يخشى ذلك العطف الذى تفرمه به مذ قدم  
عرفه الى داره ، ومارت فى جوفه انفعالات تنهش صدره ، ولكنه  
ظل مطرقا لا تتحرك شفاته بكلمة .

وانطلقت الى عرفه ، وطلبت منه أن يقوم لينام معها ومع زوجها  
فى غرفة واحدة ، ولكنه أبى فظلت توسوس له وتغريه حتى أطاعها  
وسار الى جوارها .

كانت حرارة عرفه مرتفعة قليلا ، ولكنه ما كان يحس توعكا .  
ولو تركته فردوس لعكف على استذكار دروسه ، او لنام ملء  
جفونه .

ودلف الى غرفة الزوجين فبتظاهر بالاعياء ، حتى خيل للشيخ  
أن الفتى ينوء ، وسندته فردوس بذراعها ومالت معه وهو يميل  
ليتمدد فى الفراش المبتوث على الأرض .

وراح الزوج يتلفت فى حيرة ، وقد ملأ الحنق صدره ، وتحرك  
حياؤه فتملكه خجل من أن ينام الى جوار زوجه وفتى غريب معهما  
فى غرفة واحدة .

وذهب الى المصباح وخفت ضوءه ولو طأوع نفسه لكتم أنفاسه  
وترك المكان فى ظلام دامس حتى لا يراه الفتى اذا التصق جسمه  
بجسم فردوس عفوا ، وحتى لا تقع عيناه على ساقها اذا انحسر  
الغطاء عنهما .

وسار الشيخ نحو السرير وقد تقاصرت نفسه ، وصعد باليه

في حرص وخفة ، وأخذ يتمدد هونا حتى لا يئن السرير ويبلغ أنيه  
مسامع الفتى الراقدا على بعد أمتار منه .

ومدت فردوس يدها وتناولت قميص النوم ، فحقق قلب  
الشيخ في شدة ، واستولى عليه هلع خشية أن تخلع ثوبها في الغرفة  
وتقف نصف عارية تحت بصر ذلك الذي شاركه غرفة نومه رغم  
أنفه . وفكر سريعا فيما يفعله لو همت بخلع ثوبها دون أن يلفت نظر  
الفتى ، فقرر رأيه على أن يقفز من سريريه وان يدفعها أمامه وهو  
يحجبها بجسمه عن الراقدا على الأرض ويجرفها أمامه حتى تخرج  
من الغرفة .

وتحركت فردوس وقميص النوم في يدها ، وغادرت المكان ،  
فزفر الشيخ في راحة ، وان ظلت اعصابه متوترة ، ومرت لحظات  
من الصمت عادت بعدها فردوس وقد ارتدت قميص النوم ، وفي  
يدها ثوبها .

وعلقت الثوب في المشجب ، وذهبت الى السرير وصعدت فيه  
وتامت في الطرف الذي يطل على عرفة النائم على الأرض ، وأبتعد  
الشيخ عنها واستقر على الطرف الآخر .

وراح الوقت يمر ، وانتظم نفس الشيخ ، ثم راح يقط غطيطا ،  
قرفعت فردوس وسطها وجعلت تتفرد في وجهه وتيقنت من  
تومه ، ولكنها أرادت أن تتأكد انه راح في سبات فهزته هذا خفيفا ،  
وأصلحت وضع رأسه على الوسادة ، فحفت شخيره ، وان ظل غارقا  
في النوم .

ونصت الغطاء عنها في خفة ، وانسلت من جواره كما تنسل  
الأنعى ، وعيناها لا تفارقان وجهه ، ثم رقدت على الأرض الى جوار  
عرفه ، وانسلد عليهما غطاء واحد .

## - ٧ -

عاد سويلم الى البيت قبل اذان المغرب ، فقد احتلت ذهنه فكرة اختلاء فردوس وعرفه والشيطان ، فأحس ضيقا وقلقا ووحشا قاسيا ينهش جوفه ، ولم يستطع أن يصبر على قسوة مشاعره ، فانطلق مغزوعا ، مكروب النفس الى الدار .

ووضع المفتاح في حرم ، وأداره في أنه ، ودقات قلبه تدوى في اذنيه ، وفتح الباب وقبل أن يتقدم خطوة وقّف مشدوها حائرا يفرك عينيه بظهر يده ليزيح الغشاوة التي انسدت فجأة على عينيه ، خيل اليه أنه رأى فردوس وعرفه يبتعد أحدهما عن الآخر في فزع ، وراح وهمه يؤكد له أن فعما كان على فمه ، ولكنه لم يكن واثقا من اتهام أوهامه فقد خانه بصره ، لم ير شيئا واضحا ، كل ما أحسه حركة سريعة لا يدري ان كانت حقيقة او وهما من الاوهام .

وتقدم خطوات ، وريبة قاتلة تستولى عليه ، وبدأ قوة تهصر فؤاده ، ومر بين فردوس وعرفه وهو عابس الوجه ، ولم يلق عليهما تحية ، ولم ينبس بكلمة ، وقد أسبل جفنيه على عينيه ، خشى أن يقع بصره على أحدهما فيفلت منه زمام نفسه ويتدفق السباب والاتهام من فمه دون وعى .

ودخل غرفته وفردوس في اثره ، وأحس الباب يفلق عليهما فربا قلقة ، وزاد اضطرابه لما تقدمت فردوس منه وأخذت تعاونه على خلع ثيابه ، وهو يتحامى أن تلتقى عيناها بعينيه .

وجلس على مقعد قريب من السرير يفكر في حقيقة مشاعره  
الناثرة بين جوانحه وهو يتطلع الى فردوس من بين أهدايه فيحيره  
ذلك الهدوء الذى يغشاها ، وكادت النار المندلعة بين ضلومه تخبو  
والهواجس التى تمور فى أغواره تسكن ، ولكن فردوس تقدمت منه  
وطوقته فى دلال وقبلته قبله طويلة لم يستشعر حرارتها ، ولكنه  
أحسها سما زعافا يسرى فى بدنه .

وسرت فيه قشعريرة ، وهاجت وساوسه ، وتضخمت ريبته ،  
وزادت النار المشتعلة فى جوفه تأججا ، وراح هاتف من نفسه يؤكد  
له أن ما رآه حقيقة وقعت وليس وهما من الأوهام .

وأخذت فردوس تتحدث وتضحك ضحكاتها المدودة الزاخرة  
بالنداء ، وهو لا يمي مما تقص شيئا ، فقد كان مستغرقا فى المشاعر  
المنبثقة فى أغواره ، مصفيا لوسوسات الاتهام .

وقالت فردوس :

— ساعد العشاء .

وخرجت من الغرفة وهو غافل عنها ، وان كانت أفكاره ومشاعره  
وخلجات نفسه وخفقات قلبه ركزت أضواءها عليها ، وراحت تحاول  
جاهدة أن تهتك الظلمة التى تغلفها لتبدو حقيقتها عارية بلا أستار .

ومر الوقت دون أن يشعر به ، كان فى شبه غيبوبة ، فقد  
فاضت مشاعره حتى غمرته ، وكاد يفقد الاحساس ، وأفاق على  
صوت فردوس وهى تقول .

— تفضل .

وقام صامتا ، وسار الى حيث وضعت الطبلية وقبل أن يجلس  
أرتفع صوت فردوس ينادى :  
— عرفه .. عرفه . تعال .

وخيل للشيخ أن في صوتها رقة ، وأن له نفمة خاصة حانية ،  
وأنه زاهر بالانفعالات ، وأن نطق اسم الفتى ثم عن مشاعر كثيرة  
كامنة في أعماق النفس الغامضة ، فاضطرب الشيخ حنقا ، واسنبد  
به الأسى .

والتفوا حول الطبلية ، وامتدت الأيدي الى الصحف ، وساد  
الصمت وراح الشيخ يرصد حركات الزوجة والفتى من بين أهدايه  
المسبلة . والتقت عينا فردوس بعين عرفه أكثر من مرة ، كانت  
نظراتهما عابرة لا تفضح شيئا ، وتظاهر الشيخ بالانشغال عنهما  
بورك الدجاجة الذي كان يعالجه بيديه ، وانتهزت فردوس الفرصة  
ورمزت بعينها لعرفه في خفة ، ولمح الشيخ ما فعلت ، فاحس كأن  
خنجرها سدد الى قلبه ، وتقيحت نفسه حتى خطر له أن يلقي  
بما في يده في وجهها وأن ينقض على الفتى ينشب اظافره في صدره .  
وراحت تفاحة آدم الناشئة في عنقه تتحرك صاعدة هابطة ، كان  
يجاهد في ابتلاع ريقه الذي جف ، وعافت نفسه الطعام فطقق ينظر  
زائغ البصر دون أن تتحرك يده .

وفطنت فردوس الى أنه لا يأكل ، فرمقته برهة ثم قالت :  
— لماذا لا تأكل ؟

وشاعت أن تداعبه فقالت له :

— لعلك تزوجت وأكلت عند زوجتك الثانية !



وضحكت ضحكتها الممدودة الزاخرة بالنداء ، وأبتسم عرفه  
وغض من بصره خشية أن تلتقى عيناه بعيني الشيخ ، وأحس  
الشيخ قهرا ، ولم تتحرك شفتاه وإن كانت الفاظ السباب القاذمة  
تتدفق مع أنفاسه دون أن تخرج من فمه .

وابتعد عن الطبلية ، وقالت زوجته وهى تشير الى صفحة بها  
عسل نحل :

— كل عسل .

ورن فى أغواره صوت ساخر يردد : « كل عسل مع الناس  
كل عسل مع الناس » فانتفض وانتصب واقفا ليتردد ذلك الصوت  
الذى يخزه وخزا قاسيا ويلهب روحه بسياط الاستهزاء ، وانطلق  
الى غرفته وطفق يغدو ويروح وهو يشهق ويذفر فى صوت  
مسموع .

وراح صوت هادى يعيد على مسامعه قصة الشيخ الذى  
شكا اليه تلاميذه سوء سلوك زوجته الجميلة وظلوا يزينون له  
الانفصال عنها حتى طلقها ، وزوجوه امرأة شريفة دميمة وجاءوا اليه  
بعد مدة يسألونه رأيه فى الزوجة الجديدة فقال لهم : كنت آكل  
عسلا مع الناس ، فأصبحت آكل الزفت وحدى . ورن فى أغوار  
سويلم الصوت الهازى : كل عسل مع الناس ، فثارت نفسه ، وأخذ  
يمرر يده على وجهه ليمسح المشاهد البشعة التى بدأت تتشكل فى  
ذهنه .

وأحس سويلم احتقارا لذلك الشيخ الذى سمح لنفسه أن  
تعترف بأنه كان يأكل العسل مع الناس ، كيف رضى لنفسه هذا

الهبوان ؟ كيف رضى ان يمرغ شرفه فى الوحل فى يسر ؟ وراح يسب ذلك الشيخ ويلعنه كأنما كان واقفا أمامه ، وسرعان ما استشعر تقاصرا فقد خيل اليه أنه يسب نفسه .

وتلبدت ريبه وأوهامه فى صدره ، واشتدت نفسه قتاما ، فانهال فى خياله على فردوس وعرفه ضربا ولطما وصفعا ، واخذ يلتقط أنفاسه فى جهد كأنما يلتقطها من ثقب إبرة .

ودخلت فردوس الغرفة ، وأغلقت الباب خلفها ، واتجهت الى زوجها الذى كان يتحاشى أن تلتقى عيناه بعينيها ، وقالت :

— انت مشغول البال الليلة ، فيم تفكر ؟

فقال دون أن يلتفت اليها :

— لن أقبل عرفه فى بيتى بعد هذه السنة .. لن أقبله أبدا .

وطارت نفس فردوس شعاعا ، وقالت فى خوف :

— لماذا ؟

— لأننى لا أطيق أن أرى رجلا غريبا فى بيتى .

فقالت فردوس وهى تجمع شتات أمرها :

— رجل ؟ .. غريب ؟ انه طفل .. تلميذ فى مدرسة ، وسيظل

طفلا حتى يتم دراسته .

فقال سويلم فى انفعال :

— انه رجل ، ولو تزوج لأنجب اولادا .

فقالت فردوس فى تحد وقد أفاقت من المباغطة ، وملكتم زمام

عواطفها :

— وحتى اذا كان رجلا سيظل فى بيتى ، انه قريبى ولن أقبل

أن يقال اننى ضقت بقريبى وأوصدت بابى دونه .

- وأنا لن اقبل ابدا ان يقال ان بابي مغلق على زوجتى ورجل  
غريب .
- لا تقل « غريب » انه قريبى . ابن خالتى .
- انه ليس ابن خالتك ، وحتى لو كان ابن خالتك الا يحل  
لك ؟ !
- ولكننى فى عصمة رجل .
- واحس هوأنا ، فما كان يثور هذه الثورة لو كان ما يزال شابا ،  
ولكنه شيخ ذابل جفت ينابيعه وهى ظمآنه . ان غيرته تزيد غضبه  
ضراما ، فقال فى انفعال :
- لن يعود مرفه الى دارى بعد هذه السنة .. لن تطأ قدمه  
بيتى .. هذا قرارى .
- فقالت فردوس وقد اتسمت عيناها :
- اذا اصررت على ألا يعود سأذهب معه .
- ماذا تقولين ؟ تذهبين معه ؟ !
- فقالت وهى تتظاهر بالانكسار :
- نعم . سأذهب معه حتى يعرف أهلى اننى غلبت على امرى ،  
وان هذه مشيئتك .
- وضايقتهما فكرة بعد عرفه عنها ، فأجهشت بالبكاء وقالت فى  
عبارات تخنقها العبرات :
- لو كان قريبك ما فكرت فى طرده ، ولكنك تطرده لانه قريبى ،  
لأنك تريد ان تذلتى بين أهلى .

وصاحت وهي تبكى تدافع عن حياتها الجديدة التى تعلقت بها ،  
والتي يتهددها الدمار :

– لن أقبل هذا الذل أبدا .. لن أقبل هذا الذل أبدا .  
ورأى الشيخ الدموع المنهمرة على خديها فالجم لسانه ، وان  
كانت انفعالاته الثائرة تمور فى أغواره . وسار مطرقا نحو السرير ،  
وصعد اليه واستلقى على ظهره وشرد ببصره ينظر الى عروق الخشب  
فى سقف الغرفة ، وصدره ينتفخ كالقربة ثم يكمش كمثانة انفجرت  
فجأة .

وانسلت فردوس الى السرير وهي تبكى ، ونامت وقد أعطت  
ظهرها لزوجها ، اعلانا لخصامها وعدم رضائها عنه واستمرت فى  
نحيبها وهي تعتمد أن يكون مرتفعا ليصل الى مسامع الزوج ، ويفعل  
به أفاعيله .

وراحت خلجة رقيقة تنبض فى جوفه ، ثم تحركت مشاعره  
الرواقص تتقدم فى حنان فى صدره لتطرد من أمامها احساسات  
الأسى ، وصفت نفسه وأفعمت بالركة ، وخطر له أن يمد يده يمسح  
دموعها وأن يضمها الى صدره ولكنه راح يقاوم هذه المشاعر حتى  
لا يبدو أمامها ضعيفا متهاكما .

وتلمل فى رقاده ، ودنا قليلا منها وهم بأن يمرر يده على  
شعرها فى حنان ولكنه كبج زمام رغبته ، وراح الوسن يداهب  
عينيه ، فأطبق جفنيه واستسلم للكرى ..

وكفكت فردوس دموعها ، واستشعرت رغبة جامحة تستبد

بها ، انها تحن الى ذراعين قويتين تلتفان حولها ، وصدر حنون  
يحتويها وانفاس حارة تذيب المشاعر القلقة المنبعثة في أعماقها .  
ونظرت من فوق كتفها الى الشيخ الراقد الى جوارها فآلفتها  
يغط في نومه ، فانسلت من جواره في خفة ، وسارت على أطراف  
أصابعها وهي مسحورة بالاحساسات الناعمة التي تلغدغ حواسها ،  
والقلق الشهى الذي يدب في روحها ، والوهم الكبير الذي كان  
يقودها .

ودلفت الى غرفة عرفة وقلبها يدق دقا رقيقا ، ودماؤها تتدفق  
حارة في عروقها ، وشبه غيبوبة تغمرها ، وارتمت على الفتى  
لتدوب فيه ، وتطمئن الى أنه معها ، لا يفرق بينه وبينها شيء .  
ومر الزمن يعلو في جوفه أسرار البشر ، وتقلب الزوج في  
سريره ، وأحس انه يتقلب في حرية دون أن يرتطم جسمه بجسمها  
أو تحتك قدمه بساقها ، ومد يده يتحسس فلم يجد الا فراغا ففتح  
عينيه مفزوعا ، ودق قلبه في عنف ، وتدفقت انفعالاته في ثورة ،  
وأدار عينيه في المكان وهو زائغ البصر ، فلما لم يجدها انبهرت  
أنفاسه ، وغادر السرير وهو يكاد ينهار من الكمد .

وتقدم وقلق شديد يجتاحه ، وريبة قاتلة تزلزل كيانه ، وخوف  
من المجهول يستبد به ومشاعر ثقيلة تجثم على صدره ، وبلغ باب  
الغرفة فآلفاها قادمة تصلح ثيابها ، منكوشة الشعر ، متوردة  
الخددين ، حافية القدمين ، فقال لها في صوت متهدج مضطرب :

ـ أين كنت ؟

فقالت دون أن تضطرب :

## ١٠ - في دورة المياه :

والجسم ولم يجد ما يقوله ، فذهب الى حيث وضعت القل ، ورقع قلة وجعل يتجرع الماء منها في صوت مسموع ، وأحس الماء البارد يجرى في جوفه ، ولكن لم تنطفأ النار المندلعة في حشاياه . وعاد الى فراشه وهو يحاول أن يبدو هادئا ، ولكن الأفكار البشعة وجدت مرعى خصيبا في رأسه فراحت تتضخم وتضغط عليه فيئن آتينا مكتوما يدمى روحه ، ويزيد أساه . وراحت أوهامه تؤكد له أنها كانت هناك ، في غرفة عرفه ، بين أحضان الفتى ، فأحس كأن طعنة خنجر سدت الى قلبه ، والتفت اليها في حنق فألفاها مسيلة العينين ، مستسلمة للنوم الهادئ اللذيذ ، منتظمة الانفاس ، فربا ضيقه وثبت أنظاره على عنقها الطويل ونحرها العارى وراودته فكرة أن يقبض بيديه على عنقها وأن يضغط عليه حتى يزهرق روحها . ولكنه راح يطرد الفكرة من رأسه ، أنه يحبها .. يهواها يريد لها لنفسه خالصة ، أنه عرفه الذي ينبغي أن يبعد ، أن يزال من طريقه ، أن يختفى من حياتها . ووافق يفكر في عرفه ، وفيما يفعله به ليتخلص منه ، وثبتت في رأسه أفكار كثيرة ، راح يقلبها ويقارن بينها ، وأخيرا ارتاح الى فكرة بعينها ، فوطن العزم على انفاذها .

## - ٨ -

ألقى عرفة ورقة الامتحان على الكنسول ، وخلع ثيابه وارتنى  
جلبابه المخطط وارتمى في الفراش وأرعى لخياله العنان ، فلم يفكر  
في الايام الباقية على انتهاء امتحان آخر السنة ، ولا في رفاق المدرسة  
ولكن شغلت رأسه دارهم المتواضعة في القرية ، وامه الجالسة في  
ركن من القاعة تعد الطعام وأخوته حولها يتصايحون ، وأبوه وهو  
مقبل من عمله والشمس تلفظ آخر أنفاسها ، وصوت مؤذن القرية  
يؤذن بالمغرب يدعو الناس الى الصلاة والأوبة الى دورهم .

وثبتت في جوفه مشاعر رقيقة ، واستشعر حنيناً الى أهله ،  
فخفق قلبه شوقاً وانتابه ضعف ففص وترقرقت الدموع في مآقيه ،  
فراح يمسحها بظهر يده في راحة ، وقد استسلم للأفكار اللذيذة  
النابضة في ذهنه .

وأفعم بالشوق ، وتحرك ليفعل شيئاً يطمئن به مشاعره الهائجة  
فغادر فراشه وراح يصير حوائجه في « البقجة » التي جاء بها من  
قريته ، وهو مشبع بالغبطة ، يتمنى أن تطوى الايام الباقية سريعاً  
ليعود الى حياة القرية التي يشتهيها .

ودلفت فردوس الى الغرفة ، ووقفت ترقبه ملياً وهي تعجب ،  
وراحت تتساءل في نفسها عما يدفعه الى تجهيز حوائجه وامامه حتى

ينتهى امتحانه ثلاثة أيام طويلة ! ان دقائق قليلة كفيلة بوضع كل ما يملك في الصرة .

وهمس في ذاتها هامس يسأل : أيسافر الى أهله عقب انتهاء امتحانه مباشرة ؟ أتركها للظلم بعد أن وجدت عنده ما يروى غلتها ، وإذا أراد أن يسافر أتركه أم تغريه على البقاء ؟

ما الذي يغريه على العودة ؟ ! ألا يجد عندها ما لا يجده في داره ؟ انه ينعم بغرفة وحده ، ويأكل كل يوم طعاما ما كان يأكله الا في الأعياد ، ويسعد بها . الا يكفيه كل هذا ليبقى ؟ !

واحست ضيقا ، فطنت من حركاته انه يتعجل الزمن ليركها ، آه لو ذهب لصارت حياتها فراغا ، انها لا تطيق ان تتصور انه سيتركها ، ليتها تجد عذرا تحمله لتعود معه الى القرية ، او ليت سويلم يغضب منها ويأمرها أن تذهب الى أهلها ، فتنتقل معه سعيدة لا تفارقه حتى تنقضى أجازته :

ان هذا الفتى ملأ حياتها ، أذاقها مالم تذقه طوال سنين زواجها ، خفق له قلبها خفقات شهية ، شغفت به حبا ، اكانت تصدق انها ستهم يوما بصبي لما يتجاوز الخامسة عشرة !

وتقدمت منه ، وقالت وهى تبتسم :

— من يراك وانت تصر ثيابك بحسب أنك مسافر الساعة ؟

وسرعان ما غاضت ابتسامتها ، كان رنين صوتها في جوفها مقبضا ، فقالت في صوت فيه أسى :



— لماذا هذه العجلة ؟

فقال عرفه وقد شرد ببصره بعيدا :

— احس شوقا طافيا الى امي وابي واخوتي بل الى جدران دارنا ، اتمنى أن اغمض عيني فأجد نفسي بينهم .

فرنت اليه بعيون مفتوحة ، وتحركت عقارب سميرتها ، ولم تستطع أن تكبت مشاعرها ، فقالت في عتاب :

— وأنا ؟

فنظر عرفه اليها نظرة بلهاء ، لم يفهم ماذا تريد ، فقال في حمرة :

— ماذا ؟ .

فقالت في صوت متهدج :

— هل ستذكرني ؟ هل ستشتاق الى ؟

فقال دون أن يضطرب ، أو تطرف عيناه :

— طبعا .

وكان كاذبا في قوله ، لم تخطر له على بال لما فكر في عودته الى اهله ، ولم يستشعر حسرة لأنه سيخلف وراءه شيئا يحبه ، انها دخلت حياته كما دخلت الفتيات اللاتي عرفهن قبلها ، لقد كان لها سحر أول عهده بها ، ولكنها لم تترك في قلبه أثرا ، لم تزد في نظره عن فتاة لعب معها لعبته المفضلة ثم عاد كل منهما الى بيته .

أحس نحوها مرة احتقارا ، وفكر في أن يفر منها ، ولكن حتى ذلك الاحساس تبخر ، وصارت بالنسبة اليه شيئا يقضى معه لحظات مترعة بالمتعة الجسدية ثم يمر كل ما أحسه مرور الانفاس التي دخلت رئتيه وخرجت منها دون أن يذكر من ذلك شيئا :

— ورن صوته في أذني فردوس زاخرا بالرياء ، لم يكن له تهدجأت اضطراب المحبين ، ولم يكن له ذلك الطعم اللذيذ الذي كانت تتذوقه لما كان يهمس لها بالفاظ تافهة أول عهدا به ، واستشعرت ضيقا ، وامتلأت رغبة في أن تنتزع منه اعترافا بحبه ، فقالت له :

— أتحبني ؟

وأرهفت حواسها ، كانت تتمنى أن يقول لها انه يعبدها وانه لا يستطيع أن يعيش بدونها ، ولكنه قال في بساطة :

— طبعا .

وثارت مشاعرها ، وسرت في بدنها رعدة ، وانسدلت على مينيها غمامة فلم تعد ترى شيئا ، وغمت عليها احساساتها ، وأرادت أن تقضى على ذلك القلق الذي تفجر في أعماقها ، فتقدمت اليه وضمت الى صدرها ، وراحت تقبله في نهم وانفعال ، وسرعان ما استجاب لندائها .

وعادت الى غرفتها هادئة ، وتمددت في فراشها وقد اسبلت مينيها في استسلام ، وبدأ الوسن يداعب جفونها ، واذا بسؤال راح يتدسس الى رأسها : هل الاستجابة دليل الحب ؟ وشغل

تفكيرها بالسؤال والاجابة عنه ، وراحت توهم نفسها أن استجابته لها دليل على حبه ، ولكن وساوس الشك كانت تبتلع الاوهام .

وباتت تترجح بين أفكارها حائرة ، لم تكن واثقة الا من شيء الا وهو انها تحبه وانها تتمنى ان تقضى ما بقى من عمرها معه ، آه لو كان اكبر من سنه ، وقادرا على ان ينفق عليها ، وأشار لها بأصبعه ان تنبعه ، لفرت معه دون تردد أو تفكير في مغبة ما تفعل . وجاء الليل ، وأغلق باب الغرفة عليها وعلى زوجها ، فراحت تتمسح به وتداعبه وتضع قبلاؤها حيثما تقع ، فأوجس سويلم خيفة ، وأخذ يتأهب لسماع رغبة جديدة من رغباتها .

ولفت ذراعها حول رقبته وأسندت رأسها على كتفه ، فراح شعرها يداعب خده الخشن الخائر ، وقالت في صوت منكسر مشحون بالرقه والرجاء :

— سويلم ، اشتقت الى أهلى ، اريد أن ازورهم .

فقال سويلم فى نبرات هادئة :

— هل لك أهل غيرى بعد أن ماتت أمك ومات أبوك ؟ ألم تقولى لى انك أُمى وأُننى أمك وأبوك ؟ !

فقال وهى تزداد التصاقا به :

— أنت الخير والبركة ، ولكننى أحن الى زيارة قبر أبى وأُمى ، ورؤية خالتى وأبناء خالتى .

— وهل زارك أحد منهم ؟

فقاقت في صوت حالم :

— الم يبعثوا الى عرفه !

وأحس كأن خنجرا صوب الى قلبه ، واذا بخاطر يرحف الى  
رأسه يهمس بانها لا تبغى زيارة قبر أمها وإبيها ، ولكنها لا تطيق  
فراق الفتى ، تريد ان تكون معه ، فاهتز كيانه وانقبض صدره  
وتارت مشاعره ، وهم بأن يصيح فيها ، ولكن ضغط احساساته  
الشديد حبس صوته وكاد يكتم أنفاسه .

وكانت فردوس تهيم في امانيتها ، فلم تحس انفعال الرجل  
الملتصق بها وقالت وهي شاردة ببصرها وذهنها معا :

— ساسافر مع عرفه وسانتظر حتى تأتي لتأخذني ، ما أجمل  
هذا ، سيعيد أيام سعادتي سأحس تلك الاحساسات القامضة  
اللاذيلة التي كنت أحسها في الأيام الحلوة التي سبقت زفافنا .

وانفجر رجل غضب الزوج ، فقال وهو يبعدها عنه بكتفه :

— لن يكون هذا ، لن يكون هذا أبدا .

وأفاقت من حلمها ، فنظرت اليه بعيون مفتوحة وقالت :

— لماذا ؟

فقال والغيرة تنهش فؤاده :

— قلت لك اننى لا أريد عرفه في بيتي ، ولا احب ان تكونى في

مكان يكون فيه عرفه .

— لماذا ؟

فقال في غيظ :

— لأننى أكرهه .. أمقته .. أبغضه .. لا أحبه .

وضاقت الدنيا فى عينيها ، وتحركت مشاعر كثيرة متباينة فى  
أشوارها . فانفجرت قائلة :

— لماذا ؟

واحس كأن سوطا هوى على وجهه ، فقال وصدره يعلو  
وينخفض :

— لأنه .. لأنه ..

ولم يستطع أن ينطق الكلمة التى ملأت رأسه وفمه ومزقت  
كيانه ، فهب واقفا وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، وهو يرتجف  
بحس كأنه سينفجر ويتطاير أشلاء ، ووجدت فردوس الفرصة  
سواتية لاثارته ، وأرغامه على اهانتها لتجد فى ذلك تكتة لغضبها  
وعودتها الى أهلها ، فقالت وهى تقف فى طريقة متحدية :

— لأنه ماذا ؟ قل .

فقال وهو يزيحها بيده من طريقه :

— كفى .. اسكتى .

فقالت فى عناد :

— لن أسكت قبل أن أعرف ماذا يدور فى رأسك .. قل لأنه  
ماذا ؟

فقال فى ضيق :

— أوه .. والله أن لم تسكتى لأذهبن اليه الآن وأكتم أنفاسه .

وكان يذرع الغرفة في طريقه الى الباب ، فأسرعت فردوس دون  
تفكير الى الباب تسده بجسمها ، وقد عازمت على أن تقاوم زوجها  
إذا ما فكر في مغادرة الغرفة ، ولكنه ظل غاديا رائحا وهو يقول في  
حنق وهو يصرف ألبابه :

— سأقتله .. سأقتله يوما .

وجعلت فردوس ترصد حركاته دون أن تنبس بكلمة وقد  
أوجست منه خيفة .

- ٩ -

كان الوقت ضحى ، الشقة هادئة لا يسمع فيها الا وسوسة  
اساور ، وارتطام نحاس بنحاس بين لحظة وأخرى وخريف ماء ،  
فقد ذهب سويلم الى دكانه ، وانطلق عرفه الى تأدية امتحانه ،  
ودخلت فردوس تفتسل .

كانت فردوس تستحم عقب أن تهب من نومها وقبل ان تعد  
طعام الافطار لزوجها ، ولكنها قرأت في عيني زوجها ريبة ، ووخزها  
مرات بكلمات مغلقة بدعابة نطقت بالشك الذى يساوره ، فصارت  
تنتظر حتى يخرج وتولى وجهها شطر الحمام .

وانقضت فترة صمت طويلة ، كان الكوز في يد فردوس ، ولكنها  
لم تمده لتملاه من الطشت الموضوع تحت صنبور الماء ، فقد  
شردت ببصرها تفكر ، لم يبق الا يومان على سفر عرفه تعود بهما  
الى حياة الحرمان والجفاف ، ولن تعرف الحمام الا يوم الجمعة  
لتزيل عرق الأسبوع وتبدل ثيابها التى اتسخت .

وطافت بها سحابة من الأسى ، وربت سحب الحزن وتراكت  
لما تذكرت أنها لن تستطيع أن تذهب الى عرفه في قريتهم اذا هزها  
الشوق اليه ، فقد كانت ثورة زوجها عارمة لما طلبت منه أن تزور  
أهلها . انه يشك في العلاقة التى بينها وبين عرفه ، وانه ليهم بأن  
يلقى بالاتهام في وجهها ولكن كبرياءه تلجم لسانه .

قال لها مرارا أنه لا يطيق فراقها ، وياطالما عبر لها عن حبه ،  
أنه صادق في مشاعره ولكن رقة الكلام ما كانت بقادرة على اخمد  
أنفاس الغول الذى غذاه عرفه بشبابه فزاده ضراوة ووحشية .

وتدسست الى رأسها فكرة ، اخلت الدنيا من الرجال ولم يعد  
فيها الا عرفه ؟ ! اذا سافر عرفه فما أكثر الرجال الذين يتمنون  
أن ينالوا ما ناله عرفه ، ولم تفزعها الفكرة ، ولم تحاول وادها ، وان  
احسبت عدم راحة ، كانت فى أعماقها تفضل أن تدوم علاقتها بالفتى  
وان تقتصر عليها .

وفكرت فى سويلم واذا بالعجب يملؤها ، لماذا يفار كل هذه  
الغيرة لمجرد شكه بان هناك شيئا بينها وبين عرفه ، انه لم ير شيئا  
انكره ولكنه احس احساسا غامضا عذبه ، ولكن لماذا يتعذب ؟ ان  
عرفه لم يسلبه شيئا ولكنه استعمل ذلك الشيء الذى لم يعد هو  
يقادر على استعماله . وقبل أن تستريح الى الفكرة وخزها واخر  
من نفسها راح يسألها اكانت تحس ما يحسه زوجها لو كانت اكبر  
منه سنا وهام زوجها على وجهه يلتقط لذاته ؟ واستشعرت ضيقا  
لما صاح فيها صائح انها ما كانت لتففر لزوجها ما يفعله وان كانت  
هى غير قادرة على تلبية رغباته .. انها طبيعة البشر .

ومدت يدها بالكوز فى عسبية تملؤه ماء وصوت يدوى فى  
أعماقها : « هذا ظلم .. هذا ظلم .. ما كنت لأختار هذا الطريق لو كان  
زوجى شابا .. ظلم .. ظلم » « ماذا يفعل سويلم لو رآنى بين احضان  
رجل غيره ؟ .. يقتلنى وبقتله .. سويلم يقتل ؟ ولماذا لا يقتل . لقد



قال لى : والله ان لم تسكتى لأذهبن اليه الآن واكتم أنفاسه .. آه  
لو خاننى زوجى مع امرأة قتلته وقتلتها ، أستحق القتل ..  
أنا أستحق القتل ؟ ! هذا ظلم .. ظلم .. » .

ونفضت ترتدى ثيابها وهى تعجب من نفسها وتتساءل عما جعل  
راسها يجيش بكل هذه الأفكار وما كانت تفكر فى شيء من ذلك ،  
وما كانت لتندم على ما تفعل ، وما كانت تحاسب نفسها ، أهيجت  
أفكارها أشباح الوحدة التى تترقبها بعد ذهاب عرفه ؟ انها لا تدري ،  
كل ما تدريه انها ضائعة قلقة حائرة مضطربة .

واحست رغبة فى البكاء ، وانثقت دمعتان فى عينيها ، ولكن  
لماذا تبكى ؟ ! انها تستشعر رهبة ، رهبة من شيء غامض ، انها  
خائفة وما كانت تعرف الخوف من قبل ، انها لتنسب من جوار  
زوجها فى هدأة الليل لتذهب الى عرفه دون أن تختلج فيها خلجة  
رهبة ، فما بالها تضطرب الساعة وليس هناك ما تهابه ؟ !

وجفت رأسها بالمنشفة ، وكورت شعرها ثم لفت المنشفة حول  
رأسها ، فبدت كالعمامة التى تلف على شاهد الضريح ، وفتحت  
باب الحمام وقبل أن تجتازه سمعت طرقا على الباب ، فصاحت :

— حاضر .

وذهبت الى الباب وفتحته فالتفت ام نعيم تنظر اليها طويلا  
وتلتمع عيناها المضعضتان ببريق خبث ، وتنفرج شفتاها عن فم  
ليس فيه الا ناب واحد طويل ، ثم تقول :

— نعيماً .. صباحية مباركة .

وقالت فردوس وهى تفسح لها طريقاً :

— أنعم الله عليك .. تفضلى .

وتقدمت أم نعيم فى خطوات بطيئة ، كانت ترتدى جلباباً أسود فضفاضاً وعلى رأسها طرحة سوداء صار لونها زيتونياً ، وظهرت سوائفها من تحت المنديل الذى تعصب به شعرها ، بيضاء ناصعة . انها فى السبعين من عمرها ومع ذلك لا تفر فى بيتها ، تنتقل من بيت الى بيت حاملة الأسرار التى تبعثرها هنا وهناك ، لذتها الوحيدة أن تسمع وأن تنقل ما تسمع ، وأن تزيد على ما تنقله ما شاء لها خيالها ، وما كانت تلتفت الا الفضائح والمصائب والمعائب .

وتلفتت وقالت فى حسد :

— ربنا يمتعك بشبابك .

وانفرجت شفتاها عن نابها الطويل ، وقالت :

— والله قلبى يحبك لأنك يتيمة مثلى وبنت حلال ، روحى الله يسترك دنيا وآخرة يا فردوس يا بنت زكية .

ووصلتا الى غرفة عرفة ودلفتا اليها ، وجلست أم نعيم على الأرض ، ومالت فردوس عليها تحاول رفعها وهى تقسم قائلة :

— والله قومى واجلسى على الكنية .

— وحياة النبى الى زرتة انا مرتاحه .

— اترفعى يا شيخه .

مرتاحه والنبى روحى الله يريحك ويسترك دنيا وآخره .  
وجلست فردوس أمام مرآة الكنسول ورفعت المنشفة عن  
رأسها ، واخذت تسرح شعرها الأسود الطويل ، وأم نعيم ترمقها  
فى حسرة ، تحاول أن تغريها بنظراتها ، وقالت :

— ايه .. ذهبت أيامنا ، كانت أيام جميلة ولو أنها كانت قصيرة ،  
كان المرحوم لا يترك شعرى يجف أبدا ، ما ان أخرج من الحمام  
حتى يعيدنى اليه مرة ثانية ، كنت أحب ان أصلى ولكن ما كان  
يترك لى وقتا للصلاة .

وضحكت فردوس ضحكتها المنعمة الزاخرة بالنداء وقالت :

— أما كان له عمل غيرك ؟

فقالت أم نعيم وهى تطوح ذراعها :

— كانت دكانه تحت البيت ، وكان كالمكوك صاعدا هابطا  
لم يكن آدميا كان وحشا .

وصمتت أم نعيم قليلا ثم قالت :

— الله يرحمه ويجعل أراضيه الجنة ..

فقالت فردوس وهى تضحك :

— اطمئنى انه من أهل الجنة .

فقالت أم نعيم وهى ترمقها فى استخفاف :

— وما أدراك ؟

— لأنه مات شهيدا .

فقالت أم نعيم فى ضيق :

- مات وتركنى صغيرة .
- ولماذا لم تتزوجى بعده ؟
- قلت أعيش للولدين ولا أقهرهما ، حرمت نفسى وريسيهما
- ولما كبرا تزوجا وتركانى وحدى ، آه لو كنت أعرف ما أهدرت شبابى
- فقال لها فردوس وهى ترمقها فى المرأة :
- اتادمة على ما فعلت ؟
- فقال أم نعيم فى حسرة وان تظاهرت بالمزاح :
- لو كان فى راسى عقل ما قبلت ان أعيش بلا رجل حتى تجف
- عروقتى ..
- روحى الله يمدلك فى عمر العم سويلم ويروى لك عروقتك .
- ومالت فردوس براسها وضحكت ، وراحت أم نعيم تتجول فى
- الغرفة بعينها ، فرأت جلاب عرفة معلقا ، فالتصت عينها ببريق
- خبث وقالت :
- أما زال العم سويلم عرفا ؟
- فقال فردوس وهى تنهض :
- انه عرق ولكنه ليس وحشا كزوجك ..
- وعادت أم نعيم تنظر الى جلاب عرفة وقالت :
- نعمة .. احمدي الله عليها ، ما جئت لزيارتك الا ووجدتك
- خارجة من الحمام .
- وصمتت قليلا تغالب الكلمات التى تتراقص على لسانها ،
- ولم تستطع أن تكبحها ولكنها غيرت اتجاهها ، قالت :
- وكيف حال عرفة ؟

ونظرت فردوس اليها تتفحصها في ريبة ، فالفحتها مطرقة ، انها تعرفها داهية تريد ان تجرّها الى ما تبغى لتدر بقصتها مع عرفه على بيوت الجيران ، فراحت تتحدث في روية وتزن الكلمات قبل ان تنفوه بها قالت :

— بخير ، وسياسفر بعد غد ليعود الى اهله .

ولماذا هذه العجلة ؟

— وما الذي يبقيه بعد انتهاء الامتحان ؟ !

واسبلت ام نعيم عينيها ، كانت هذه عادتها كلما وخزت وخزة كأنها كانت تخشى ان تكشف عيناها سريرتها ، وقالت :

— يساعد العم سويلم في الدكان .

وهمت بأن تقول : انه لا يزال صغيرا ، ولكنها احسّت ان المعجوز ستمسخر من قولها ، وانها قد تنفذ من ذلك الى السؤال عن سنه والى الحديث عن قدرته على انجاب الأولاد ، فوجدت ان الصمت اسلم ، فلم تنبس بكلمة وتحركت تنشر المنشقة .

وضايق ام نعيم ذلك الصمت ، وغازها تهرب فردوس من الخوض في هذا الحديث ، ورأت أن تعرج على حديث آخر فيه غمز ، قد يعود بها الى الحديث عن عرفه ، فقالت :

— العم سويلم رجل طيب وابن حلال ولكنني في حيرة من أمره هذه الايام . ولزمت الصمت لتثير في فردوس رغبة كشف سر الزوج وسرها انها نجحت في خطتها لما رأت فردوس تقبل عليها وتقول لها في اهتمام :

- وماذا أنكرت من أمره ؟
- فقال أم نعيم في صوت فيه رنة أسي متكلفة :
- سيره مع سرحان .
- سرحان من ؟
- فقال أم نعيم وقد أسبلت عينيها :
- ألا تعرفين سرحان ؟ انه يعيش على قتل الناس .
- يعيش على قتل الناس ؟
- نعم . من له غريم يؤجره لقتل غريمه .
- ومتى يقابله سويلم ؟
- أن سرحان كالخفاش لا يغادر بيته الا بعد أن تغيب الشمس .
- وأين يسكن ؟
- في البيت المتهدم المجاور للفرن .
- أي فرن .
- القرن الواقعة خلف دكان العم سويلم .
- وهمت بأن تسألها عن العلاقة بين زوجها وسرحان ، ولكنها  
حزرت كل شيء ، قال لها سويلم انه سيقتل عرفة يوما ، وها قد  
جاء اليوم ، أجز مجرما ليقتله ، ولكن لماذا لا يقتلها هي ؟ ! انه أعمى  
من أن يفعل ذلك ، انه يحبها .. يهواها .. يريد لها خالصة له .
- وتفتحت . نفس أم نعيم ، سرها أنها غرست في نفس فردوس

القلق ، وزاد في سرورها تلك الأفكار التي راحت تتجمع في رأسها  
حول فردوس وسويلم وعرفه ، ستجد قصة مثيرة تدور بها على  
بيوت الجيران ، وضاعف من غبظتها أن القصة تروى فضيحة جنسية  
وهي تشتهي كل حديث يقودها الى الجنس حتى تفرق فيه .

وانطلقت أم نعيم تتحدث ، وفردوس لا تفقه من حديثها شيئا ،  
كانت مشغولة بالتفكير فيما تفعله لتنقل عرفه .

## - ١٠ -

فاض قلق فردوس بعد أن تيقنت من أن حياة عرفه في خطر ،  
لقد دفعت القبرة الشيخ الى أن يكتري رجلا ليتخلص منه ، وراحت  
الأفكار تتزاحم في رأسها ، كانت تقلب الراى فيما تفعله لتتقد الفتى .  
فقد عازمت على الا تقف مكتوفة اليدين .

دار بخلدتها أن تجابه سويلم بأوهامها ، تقول له انه أجر سرحان  
ليختال عرفه ، فلا يسعه الا أن ينهار امام المفاجأة . سينكر ما دبر  
ويتملص من التهمة ويعمل على تجميد مؤامرتة بعد انكشاف أمره .  
ولكن ماذا يكون الموقف لو اخذته العزة وثار وحطمها فيما يحطم ؟ !  
ماذا لو ألقى في وجهها اتهاماته وطلقها وراح يوسع الأرض اذاصة  
بما بينها وبين الفتى ؟ ! لا . ان محاولة الوقوف في وجه سويلم الحاقده  
التائر المطعون ليست بالراى ، ولكن ما الراى ؟ اترك الفتى يقتل ؟

وارتجفت واثارت دماؤها حارة في عروقها ، وزاد خفقان قلبها ،  
وراح يهمس في نفسها هامس يقول : أهون على أن افصح من أن  
يقتل عرفه ، ليت الناس كلهم يعرفون ما بينى وبينه ويترك لى .  
وراحت تلدع العرفة وهى مطرقة ، وتدسست الى رأسها  
فكرة الذهاب الى سرحان في وكره وتهديده بأنها على علم بما هو  
مقبل عليه ، وأن حبل المشنقة ينتظره لو أصيب الفتى بمكره .  
ترى ايرضخ مجرم لهذا التهديد ؟ وماذا تفعل لو سخر منها وقال



إنها لا تستطيع أن تشي به لأن معنى ذلك وقوفها أمام المحكمة وإعلان فضيحتها على الملأ . ستقول له إنها لن تخشى الفضيحة بعد قتل عرفه ، فلن يكون لها شيء بعده .. وإذا لم يخضع لتهديدها رقتله فماذا تفعل ؟ أتشي به وما الذي ستجنيه بعد قتل عرفه !

« لا . لن يقتل عرفه ، إن أتركه للموت أبدا ، سألتبس من سويلم إن يتركه لشبابه وأقسم له أنني لن أحاول أن أعيده إلى البيت أو أذهب إلى قريتنا ، أيقبل سويلم هذا ؟ لا . لن يقبله . إنه بشيء الآن وحسب ، وأنه ليقدم على القتل لمجرد الشك ، ، وإن ترسلني إليه سيؤكد أوهامه .. الويل لي ماذا أفعل ؟ »

وراحت تقطع الغرفة جيئة وذهابا وفي وجهها حيرة ، وفي رأسها أفكار كثيرة ، وفي قلبها قلق وخوف ، وبدأ اليأس يتسرب إلى كيائها فاستقر رأيها على أن تذهب إلى سرحان في وكره وليكن ما يكون .

وارتدت ثوبا أسود فضفاضاً وأسدلت على وجهها نقاباً أسود ، وانطلقت مأخوذة ، تحس كأنها تعيش في غيبوبة ، ولولا ضربات قلبها الشديدة ، لحسبت أنها في حلم من الأحلام .

وانسابت في الطريق وقد وسعت من خطوها ، فالمشاعر المتفجرة في صدرها تدفعها دفعا في سيرها ، واللهفة على مقابلة سرحان ، ومجابهة المجهول الذي يترقبها ووضع حد للخوف الذي يتأبها تغريبها على التقدم في حماسة ، وإن تلقى بنفسها في المعركة .

كانت غاية أمانيتها أن تخرج منتصرة ، أن تنقذ عرفه دون أن يضطر إلى إعلان فضيحتها على الملأ ، أنها تعيش الساعة لهذه الأمنية

فاذا اخفقت في ثنى سرحان عن عزمه ، فليس أمامها الا أن تذهب مع عرفه ، مضحية ببيتها وسمعتها ، مشاركة إياه في الخطر الذي ينتظره . لن تتركه أبدا يلاقى الموت وحده .

ووصلت الى القرن فتمهلت وراحت تتلفت زائفة البصر ، وثبتت عينها على البيت المتهدم بجوار القرن ، فكاد قلبها ينخلع من بين ضلوعها ، وتسمرت في مكانها برهة ، وطافت بها رغبة في أن تولى الأدبار ، ولكنها وأدت ضعفها ، وتقدمت من صبي صغير وقالت له وهي تشير الى البيت المتهدم :

— اهذا بيت سرحان ؟

فقال الصبي وهو يتفرس فيها في دهش :

— نعم .

— واين يسكن ؟

— في أول غرفة على اليمين .

— اهو موجود الآن ؟

— نعم .

— وحده ؟

— أظن ذلك .

ولم أطراف شجاعته ومشيت صوب البيت المتهدم ، والصبي يرمقها في استغراب ، وهبطت في درجتين ، وسارت في دهليز رطب مظلم ، انبعثت منه روائح روث البهائم ، وبلغت أول غرفة على اليمين ، فوقفت قليلا حتى تعتاد عينها على الظلام ، وحتى تلتفظ انفاسها .

وطرقت باب الغرفة في اضطراب ، ومرت لحظات كلها قلق ،  
واخيرا فتح الباب ، واذا برجل طويل ، عريض الكتفين ، عارٍ  
الصدر ، غزير الشارب يملأ فراغ الباب ويتطلع اليها في استغراب ،  
فسرت في بدنها رعدة ، ولكن سرعان ما قبضت على مشاعرها بيد  
من حديد .

وظل سرحان ينظر اليها مليا يحاول أن يخترق ببصره ذلك  
النقاب المنسدل على وجهها ، ثم قال وهو يفسح لها طريقا :  
- تفضلى .

وتقدمت خافقة القلب ، ودارت بعينها في المكان فلم تجد  
الا فراشا قذرا كوم على الأرض ومقعدين من مقاعد المقاهى الخشبية  
الطويلة العالية ، وذباله علقت في مسمار دق في الحائط .

وأغلق الرجل الباب ، وتقدم وهو يمسح شفثيه بأصبعه كأنما  
يمسح لعابا سال ، وأشار الى المقعد الخشبى السليم وقال :  
- تفضلى .

وبقيت واقفة منتصبه ، وقالت :

- أنت سرحان ؟

فقال في زهو :

- نعم . فى خدمتك .

فقال فى انفعال :

- جئت أحذرك من تنفيذ ما اتفق عليه معك سويلم .

فقال لها فى انكار :

- من أنت ؟
- هذا لا يهمك .
- وما الذى ادراك بما بينى وبين سويلم .
- فقال وقد اتسعت عينها ، وراح صدرها يعلو وينخفض :
- ان اصيب الفنى بمكروه ستقتل .
- فضحك في استخفاف وقال :
- لم يخلق بعد الذى يقتلنى .
- ومسكت خصلة من شعرها وقالت :
- اقسم بهذا انك ستقتل اذا قتل عرفه .
- فقال فى انفعال :
- من ذا الذى يقتلنى .. انت ؟ ! عشت حتى رايت امرأة فتوعدننى !
- واحسنت انها بدأت تملك ناصية المعركة ، ففالت فى ثقة :
- اذا كان سويلم قد دفعك الى هذا بماله ، فانا استطيع ان اغرى رجلا على قتلك بنفسى ، ما اكثر الذين يتطوعون لقتلك لقاء ليلة موى ، وصمت كأنما ألقم حجرا ، وراح ذهنه يعمل فى سرعة ، فاحس طلائع هزيمته ، ورأى أن يستغل الظرف ليقلب اندحاره نصرا ، فدنا منها وقال وهو يبتسم فى خبث :
- انا على استعداد ان أقبض الثمن الآن ، وان انقض الغافى مع سويلم .

ومد يده ليجذبها اليه ويضمها الى صدره ، ولكنها دفعته في  
قوة ، فقال في حنق :

— أترفضين ؟

— نعم .

— لماذا ؟ مادمت على استعداد لدفع الثمن ، فما الفرق بين ان  
تدفعيه لى أو تدفعيه لغيرى .

— لأننى لا اثق فيك .

— أقسم لك اننى سأنفذ اتفاقنا .

وعاد اليها مرة اخرى ليضمها اليه فدفعته في شدة وهي تقول :  
— حذار ان تدنو منى .

فقال في غضب :

— اذن سيقتل ، وان احرم رجلا من أن يقضى ليلة معك .

فقالت وهي تتجه الى الباب وتفتحه :

— لن تقدر .. لن تستطيع .

وخرجت وهي تعجب من نفسها .

## - ١١ -

استيقظ عرفه في البكرة ، وارتدى ثيابه وجعل يغدو ويروح في الغرفة يتعجل الزمن ، ويرنسو الى حقيبته الصفراء والصره الموضوعه على الكنسول فيمتلىء نشوة ، فلن ينقضى اليوم حتى يكون بين امه وابيه واخوته .

وجلس على حافة فراشه ، وشرذ ذهنه فرأى نفسه بعين خياله يقدم لامه قطعة القماش السوداء التى اشتراها لها ، فيفيض وجهها بشرا ، ويعطى لأخوته الدين التفوا حوله اللعب الريفية البسيطة المتواضعة التى خططت بالاحمر والابيض ، فيتعالى صياحهم فرحا ، ويهدى لابييه سبحة سوداء فيلعو له بالهداية . وسرت الحماسة فى صدره ، فنهض وعاد يذرع الغرفة جيئة وذهابا . وجاءت فردوس تدعوه لتناول الطعام ، فألفته قد ارتدى ثيابه وتأهب للسفر ، فانقبضت . ساءها لهفته على الذهب ، انه لا يريدھا ، لا يحس بها ، يتعجل اللحظات لينطلق ، انه سينساھا ، لن يذكرھا بينما هو فى خيالھا لا يريم ، وقالت فى مرارة :

— لماذا هذه العجلة ؟ الساعة الآن السابعة ولن يتحرك القطار قبل العاشرة .

— احسن شوقا طاغيا الى اهلى ، ليتنى اذهب الآن .

واستولت عليه فكرة الخروج فاتجه الى حقيبته يحملها ، فقالت له :

— ماذا تفعل ؟

— انى ذاهب الى المحطة :

— لا زال امامك ثلاث ساعات ، أتقف ثلاث ساعات تنتظر

القطار ؟ !

فقال وهو يبتسم :

— لن أضجر او ائملل ، سأكون راضيا ما دامت رحلتى قد

بدات .

فقالت وهى تملأ عينيها منه :

— تعال افطر ، ثم افعل ما تريد .

وسار عرفه الى حيث وضعت الطبلية ، وسارت فردوس خلفه

وهى منقبضة ، يملأ جوفها قلق وخوف وحزن وانكسار ، ووقعت

عينا عرفه على سويلم الجالس الى الطبلية فحياه وجلس ، وجلست

فردوس وهى مشغولة بالأفكار التى أخذت تتدفق الى رأسها ،

والمشاعر التى راحت تزحف من هنا وهناك ويضيق بها صدرها .

فكرت فى ذهاب عرفه الآن فحبذته ، فذلك يضيع على سرجان

فرصته ، اذا كان ما انفك مصرا على أن يصرع الفتى ، انه سيتربص

له قبل موعد القطار بقليل ، فاذا ما انطلق الساعة ، سيفلت من

قبضته ، وقررت ان تغرى عرفه بالذهاب ، فقالت لزوجها :

— عرفه يريد أن يذهب الآن .

فقال سويلم دون أن يرفع رأسه :

— لا . قلت لعلوة أن يجهز « الكرّة » ، ليوصله الى المحطة .

فقال عرفه :

— متشكر يا عمى ، ولكننى أفضل الذهاب الآن على قدمى  
فقال سويلم وهو يجاهد أن يبدو هادئا :  
— الحر شديد اليوم .  
فقالت فردوس وهى تنظر فى قلق :  
— ما زلنا فى أول النهار .  
فقال سويلم وهو يمد يده الى الطعام :  
— لا أحب أن يصاب بضربة شمس فى اليوم الذى سيعود فيه  
الى أهله .  
وهمس فى نفس فردوس هامس يقول : ولكنك تحب أن يصاب  
بطلق نار ، والا يعود الى أهله .  
وساد الصمت وشغل كل منهم بأفكاره عن كل ما حوله ، كانت  
فردوس تفكر فيما تفعله لو عاد عليه وقال أن عرفه قد قتل .  
أنتم زوجها بقتله ؟ وماذا ستجنى من هذا الاتهام ؟ ستخسر عرفه  
والزوج معا ، واذا أقفلت فيها ولزمت الصمت كيف تعيش مع رجل  
تعرف أنه قاتل ، وقاتل من ؟ عرفه .  
ووسوس فى جوفها صوت يقول : وهو كيف يعيش معى فى بيت  
واحد وقد لوئت شرفه ؟  
وهب صوت آخر يصيح فيها : لا . أنه يشك وحسب ، أنه  
ليس على يقين ، فلو أنه رأى شيئا لما بقى معى لحظة ، أما أنا فأننى  
واثقة من أنه هو المحرض على قتل الفتى .  
وخطرت لها فكرة أن تنهض وترتدى ثيابها وتنطلق مع الفتى  
الى المحطة تحميه ، ولكنها فطنت الى أن سويلم لن يوافق على



فهابها ، سيسفه رغبتها ويرفضها رفضا ، وظلت فريسة للأفكار المتباينة الزاحفة الى رأسها دون انقطاع .

وشرد سويلم بخياله ، وتمنى لو أن عرفه سافر ليلا لكان قتله أسير ، ولكنه أخذ يطمئن نفسه أن سرحان لا يأبه بليل أو نهار ، انه ماهر ، يقتل في الظهيرة ويروغ كالثعلب .

واختلس نظره الى الفتى الذى حكم عليه بالاعدام ، فاذا بغضبه ينحرك ، ودماءه تثور ، ومقته يسرى في عروقه كالصديد ، وتعفت روح الشيخ ، فلم تنبت فيها خردلة من شفقة .

وظل عرفة متلهل الأسارير ، انه يرى أمه وهى تضمه الى صدرها الحنون ، وإباه يربت على ظهره ، واخوته يلتفون حوله يعفون اليه وهو يسرد عليهم حياة البندر . ويرى الطرق الضيقة الحبيبة الى نفسه ، والحقل والساقية ورفقاء صباه وحمرة الشفق ساعة الغروب .

كانت نفسه مسرحة لحنين رقرق طاهر ، وحنان ملائكى لا يدنسها رغبة جامحة ، ولا لهفة على فتاة من فتيات القرية اللاتى كن يشاركه لعبته المفضلة ، فقد كان غارقا فى الجسد ، يهفو الى غداء روحى بعد أن نضبت ذخيرته من أحاسيس الحب العفيف !

وانتهوا من أفكارهم وعاد عرفه الى غرفته ينظر الى حقيقينه ومرة الثياب فى شغف ، تراوده فكرة أن يحملهما وينطلق ولكنه كان يتعصم بالصبر حتى لا يفضب الشيخ فى آخر يوم له فى بيته :

وراح الوقت يمر وثيدا وثيدا ، وكل من عرفه والشيخ وفردوس بنمجل مروره ليقتضى على التوتر الذى يعيش فيه ، وأخيرا ارتفع

ونين جرس « الكرتة » . فتفتحت نفس عرفه برحا ، وانقبض صدر الشيخ ، وانخلع فؤاد فردوس هلعاً ، وكاد يفلت منها زمام أمرها ، وتند منها صرخة .

وأسرعت فردوس الى غرفة الفتى تودعه ، وقلبها يرفرف بين ضلوعها كجناح حمامة ، وقابلته وهو مقبل وقد حمل حقيبته وصرته ، فاستشعرت رغبة مستبدة تغريها بضمه وتقبيله ، ولكنها قاومت تلك الرغبة وقالت في صوت متهدج تخنقه العبرات .  
— مع السلامة .

وأفسحت له الطريق ووقفت ترنو اليه من خلال دموعها التي انبتت تملأ مآقيها ، ولم تعد ترى شيئاً ، فمسحت عبراتها بظهر يدها ، وراته وهو يتجه الى باب الشقة ، فأسرعت اليه وهمست :  
— الا تودع العم سويلم ؟ .

ووضع الحقيبة على الأرض ، وانطلق الى غرفة الشيخ ، وقال وهو يمد له يده مصافحاً :

— عن اذنك يا عمي . ألك على خير .

وصافح الشيخ الفتى في فتور ، وهم بأن يقول له : « مع السلامة » ، ولكن حرارة مقتنه صهرت الكلمات فتبخرت على شفتيه ، ولم يظن عرفه الى وداع الشيخ الفاتر ، ولم يأبه به ، وعاد مسرعاً ليحمل حقيبته .

ومر بفردوس وهو يكاد لا يحس بها ، وحمل حقيبته وسار وإذا بفردوس تسرع وتفتح له الباب وما أن يخرج منه حتى تتبعه وتجذب الباب خلفها وتخف اليه وتقبله قبله خاطفة ، وتقول :

— مع السلامة .

وطفق عرفه يهبط في السلم خفيفا ، يحس احساس السجين الذي يغادر سجنه لأول مرة ، ووقفت فردوس عند رأس السلم تنظر اليه وفي قلبها لوعة وفي نفسها حسرة وفي عينيها دموع ، ولم تستطع أن تكبح جماح عواطفها فراحت تنشج بصوت مسموع . ووضع عرفه حقيبته وصرته في « الكرته » وقفز الى جوار عليوه خفيفا ، وملأ رئتيه بالهواء ثم زفره في راحة ، وقال ليطمئن نفسه :

— الى المحطة .

وانسابت « الكرته » صوب المجهول .

وعادت فردوس الى حيث كان سويلم ، كان القلق باديا عليها ، تطرق ثم ترفع راسها وتتلقت وتأخذ في التملل ، ولا تلبث أن تنهض وتغدو وتروح في الحجرة دون أن تفعل شيئا ثم تعود لتجلس وتطرق وتتلقت ، ولولا انشغال الشيخ بالأفكار الطاغية التي تتدسس الى رأسه ، والمناسع القاسية المزمجرة في ذاته لفطن الى اضطرابها .

ولم تطق المكث في الغرفة فقامت وانطلقت الى غرفة لها شباك على الطريق وراحت تنظر من خلالها شاردة ، وقد نبئت في راسها هواجس كثيرة ، راحت تتساءل عما تفعله اذا عاد عليوه وضاح ان عرفة قد قتل ، اتجرى في الشوارع محلولة الشعر تصيح كالمجنونة ؟ اتردى عليه ثياب الحداد ؟ اتقول لزوجها انها تعلم انه هو المحرض على قتله ؟ انتقم لعرفه وتقتل سويلم ؟ اتنفذ وعيدها لسرحان ؟ لقد اقسمت بخصلة من شعرها ان سرحان سيقتل اذا

أصيب الفتى بمكروه ، فآين ذلك الرجل الذى يقدم على قتل سرحان لقاء ليلة معها ؟ ! .

واحست أن سرحان سيسخر من تهديدها ، فتقاصرت نفسها واحست رهبة تكاد تكتم أنفاسها ، ولكن أيقدم سرحان على القتل بعد ان تيقن أننى اعرف نواياه ؟ الا يخشى أن يدفعنى اليأس الى البوح بكل شيء ؟ آه لو ركب سرحان راسه وركبت رأسى ! .

واحست حركة خلفها فالتفت فرأت سويلم قد أقبل شاردا ، وذهب الى الشباك والقى نظرة فاحصة على الطريق ، فقد جاء يتنسم الأخبار مثلها ، وكلاهما كانت آماله معلقة بعودة عليه ، وان تباينت الآمال كل التباين وتنافرت الرغبات .

وساد بينهما صمت قاتل ، حتى كان كل منهما يخشى أن يسمع الآخر دقات قلبه ، وصوت أنفاسه ، ويقرأ ما فى نفسه من مشاعر وافكار ، وراح الزمن يسير سير السلحفاة ، فيزيد من الآلام الجائمة على صدريهما ، ويوسع فى هوة الهلع التى حفرت فى أعماقهما .  
وارتفع رنين جرس « الكارته » فذهبت نفسها شغافا واتسعت عيونهما رعبا ، وانبهرت أنفاسهما ، وأحس كل منهما أنه يكاد أن ينهار .

ووصلت الكارته الى البيت ، ولم سويلم اطراف شجاعته ، وأطل من الشباك ، وهو يحمل نفسه على ذراعيه حملا وقال فى صوت أجس مضطرب :  
- هيه ياعليوه .

ورفع عليه راسه وصاح فى صوت هادىء :

— وصلته بالسلامه :

وتبخرت مخاوف فردوس ، وزحف الاطمئنان في جوفها ، ثم راحت فرحة تعربد في أعماقها ، ولم تقو على كبت مساعرها ، فذهبت إلى زوجها تضمه وتقبله .

وأبعدها سويلم عنه في عنف ووقفت فردوس ترقبه وعلى نفتيها بسمة ، أساريرها منبسطة ، فقد سرها نجاة عرفة وانتصارها على سرحان ، وتدفقت الدماء حارة في عروق الزوج ، وعصفت به بورته فاذا به يمد يده إلى كرسى قريب ويرفعه ثم يهوى به على راس فردوس وترنحت وسقطت على الأرض ، والكرسى يرتفع في الهواء ليهوى عليها ، واستمر يضرب ويضرب ويضرب حتى صارت جثة هامدة ، وهو مستمر في ضربها دون أن يحسن مما يفعل شيئا .



## مركبات ليلة

— الو .. اليونسكو .. أرجو محادثة الأنسة سميحه من فضلك .  
ورفع سماعة التليفون عن أذنه ، وراح يتلفت في المكان ، كانت  
هذه أول مرة يغادر فيها مصر ، فكان يحس احساس البهجة الذي  
يحسه الطفل اذا ما تفتحت عيناه على شيء جديد ، ولمح سيدة اجنبية  
ترتدى ثوبا ابيض . نحيلة الخصر جدا ، ممتلئة الأرداف منطلقة في  
ودهة الفندق كغزال يتيه في دلال ، فجعل يتبعها بعينه الجائعتين  
ولولا انه ينتظر محادثة الأنسة سميحه ، لتبع الجمال واقتفى أثره ،  
فهو يستشعر لذة بتقليب وجهه في الأجساد المتناسقة الزاخرة  
بالأنوثة الصارخة بالاجاذبية .

وعاود وضع سماعة التليفون على أذنه ، وملأ خياشيمه عبر  
نفاذ وبفريزته اكتشف اقبال انثى فالتفت ، ووقعت عيناه على  
ظهر عار حتى الخصر ، وأرداف بلا بروز وساقين نحيلتين ، فغض  
من بصره في اشمئزاز وهمس في جوفه شيطانه : « انها لوح عجيب » .

وجاء صوت انثوى يسرى في أسلاك التليفون يقول :

— الو .. انا سميحه .. من المتحدث ؟ .

فأرهفت حواسه وقال في اهنمام :

— أنا همام حمدي ، صديق فكري ، جئت الآن فقط من القاهرة ، وقد حملني تحياته وهدبة ، انها معي هنا في فندق الودان .

— حمدالله على السلامه ، وكيف حال فكري ؟ .

— بخير ، و .. ويتعجل عودتك .

وضحكت سميحة ضحكة ناعمة وقالت :

هانت .. كلها ثمانية أشهر .. متى تستطيع أن أراك ؟ .

في أي وقت وفي أي مكان .

سامر عليك في الفندق في الساعة الخامسة ظهرا ، أيوافقك هذا الميعاد ؟ .

أي وقت يوافقني . فلا عمل عندي اليوم ولست مرتبطا بمواعيد .

— شكرا وإلى اللقاء .

— مع السلامة .

ووضع سماعة التليفون وعاد الى غرفته وهو يفكر في سميحه ، انه لم يرها من قبل ، كل ما يعرفه عنها أن صديقه فكري خطبها يوم عادت الى مصر تقضى اجازتها وأنها اتفقا على الزواج بعد انتهاء عقد عملها في ليبيا .

واقترب موعد حضورها فقام وارتندي ثيابه ثم خرج ينتظرها في غرفة الاستقبال ، ومرت به أكثر من سيدة ، وكان يتفرس في كل قادمة . كانت كلهن اجنبيات ، وما كان يستطيع أن يفرق بين الايطالية والالمانية والأمريكية .



ووسوس في نفسه هانس يسأله عما يفعل اذا اقبلت سيدة وظلتها هي فقام اليها يستقبلها ثم اتضح انها ليست هي ، فانكمش ومشى في جوفه خوف ، وفكر حتى اهتدى الى أن خير ما يفعله ان يذهب الى مكتب الاستقبال في الفندق ويقول للواقف هناك الذي لا يعرف من اللغة العربية حرفا أنه في غرفته ويسأله أن يرسل في طلبه اذا ما سأل عنه أحد .

وحبس نفسه في غرفته ، وارتمى في الكرسي الوحيد الموجود وراح يعبث بأصابعه في الشريط الحريري الذي لف حول الصندوق الذي حمله بين يديه في حرص من القاهرة الى طرابلس وهو يفكر كيف يتصرف اذا ما جاء اليه من يخبره انها قد اقبلت ، ايلذهب اليها يحييها ثم يستأذن منها في العودة الى غرفته لاحضار الهدية ، ام يحمل الهدية معه ويقدمها اليها عقب مصافحتها والترحيب بها ؟ وظل حائرا مدة بناقش الفكرتين ويوازن بينهما ، ان من الأليق ان يقابلها ويحدثها عن فكرى ثم يقوم ويحضر الهدية ، ولكن باى حق يبيح لنفسه أن يجلس اليها ويتسامر معها ؟ ان كل ما هو مطلوب منه ان يقوم مقام ساعى البريد ، يترك الرسالة ثم ينصرف مشكورا . وقبل أن يستقر على رأى سمع طرقا خفيفا على الباب ، فنهض وذهب فالقى خادما امامه يقول له :

— الانسة سميحه تنتظركم في الصالون .

فقال في انفعال :

— قادم حالا .

وعاد الى حيث كان الصندوق وحمله في حرص ثم انطلق مسرعا.

ووقف عند باب الصالون ونظر فوقعت عيناه على شابة بيضاء  
قد عقصت شعرها الذهبى على شكل تاج يميل فى دلال الى اليمين  
عند منبته فرق فى الشعر الحرير ، يزين وجهها عينان واسعتان  
زرقاوان يجذبان اليهما الأنظار ويحركان فى النفوس احساسات  
الرضا والاشراق ، ولمحته ورات الصندوق الذى يتأبطه فنهضت  
لاستقباله وقد رفت على شفيتها بسمه ترحيب ، كانت متوسطه  
الطول ، بديعة التكوين ، لو رآها فى الطريق لما خطر له على بال انها  
مصرية ولظنها من ممثلات السينما الأمريكيات .

وقالت وهى تخطو نحوه بضع خطوات :

مرحبا بك فى طرابلس .

ومدت يدها اليه فصافحها فى ارتباك ، وهو يقول فى اضطراب :

— أهلا وسهلا .. كيف حالك ؟ .

وعادت الى مقعدها وجلست وجلس فى مقعد قريب منها ، وظل

صامتا برهة ، بهره جمالها وقالت لتذيب الثلج الذى بدا الحرج

يلوره حول الصمت الذى ساد بينهما :

— أهذه أول مرة تزور طرابلس ؟

فقال وهو يبتسم :

— بل أول مرة أغادر فيها القاهرة .

— طرابلس مدينة جميلة على الرغم من هدوئها .. ستعجبك .

— الشوارع التى مررت بها وأنا فى طريقى من المطار الى الفندق

ادهشتنى . لم أكن أظن أننى سأجد فى طرابلس مثل هذه الشوارع .

— سأجوس خلالها غدا .

فقلت وهى تخرج علبة السجائر من حقيبة يدها :

— غدا اجازة عندي ، فما رأيك في أن أصاحبك لأريك معالم المدينة ، وحتى لا تغيب إذا ما فكرت في شراء شيء .

وقدمت اليه علبة السجائر فأخذ سيجارة ووضعت سيجارة بين شفتيهما وأسرع باخراج قداحته ومال نحوها يشعل سيجارتها وهو غارق في النشوة ، وقال :

— شكرا . لا اريد أن أتعبك .

— لا تعب اطلاقا ، سيارتي معي وأنا في خدمتك .

ووضعت ساقا على ساق ، وألقى عينيه تتجولان في ساقيهما العاجيتين وتستقران على قدميها الصغيرة وحذاءها الأبيض الأنيق وضايقه أنه يتفرس في جمالها فرفع بصره إليها وقال :

— أنا عاجز عن شكرك .

وقدم إليها الصندوق وقال :

— تفضل .

وتناولت منه الصندوق وهى تتفرس في وجهه ، انه شاب أسمر البشرة ، في عينيه حيوية ، ولما يتجاوز بعد السابعة والعشرين ، وقالت :

— شكرا لك ، أتعبناك ؟ .

فقال في حماسة :

— أبدا

ووضعت الصندوق فوق ركبتيها ، والتقت عيناه بعينيها

م - ٩ أرملة فلسطين ١٢٩

الواسعتين فاضطرب وأراد أن يقضى على ذلك الانفعال الذى بهما  
يعبى انعكاسه على وجهه ، فقال وهو يبتسم :

— فى الصندوق خلاوة مولد النبى .. كل سنة وانت طيبة .

وتوجت شفيتها بسمة عذبة وقالت :

— وانت طيب .

واعتدلت فى جلستها استعدادا للقيام ، وكأنما أراد أن يطل  
جبل الحديث موصولا بينهما ، فقال :

— والله لم افتحه ، قال لى فكرى وهو يدفع بالصندوق لى :  
« حذار أن يسقط الصندوق منك أو أن تضع فوقه شيئا ، أن تكسر  
رقتك أهون عندى من أن تكسر عروسة المولد » .

وضحك وأحس أنها تتفرس فيه بعينها اللتين تشعان كهرباء  
فسرعان ما تقاصرت نفسه ، وأحس فى أعماقه أنه قال كلاما تافها وقد  
يكون سخيفا ، لماذا قاله ؟ ليته يتخلص من ذلك العيب المتأصل  
فيه ، أنه يتحمس للكلام قبل أن ينطق به ، حتى إذا ما خرج من بين  
شفته شعر بتفاهته ، وجعل يتلفت من الخجل .

وهبت واقفة وهى تقول :

— متى تحب أن أمر عليك غدا ؟ .

— فى أى وقت .

— تناسبك الساعة الخامسة .

— هذا لطف منك ، سأنتظرك غدا فى الساعة الخامسة .

وسارت وسار الى جوارها وقد تأخر عنها خطوة ومطن الى انها  
تحمل الصندوق ، فمد يده واخذه منها وهو يعتذر ويتأسف .  
وانطلقا حتى بلغا السيارة ففتحت بابها وانحنت لتدخل فانحسر  
ثوبها عن الساق كلها فأسرعت عيناه اليها وجاهد ليعضهما ولكن  
النشوة المعربة في وجدانه بددت تلك الرغبة المتهاكة .

ومد اليها يده بالصندوق من الشباك القريب منه ، ونظر الى  
عينها فاستشعر كأنما قد غرق فيهما ، وتناولت منه الصندوق  
ووضعتة الى جوارها وقالت :

— شكرا .

فقال وهو حالم :

— مع السلامة .

وانطلقت السيارة وهو يرقبها حتى اختفت عن عينيه ، فدار على  
عقبه وعاد الى غرفته وهو سعيد ، وارتمى على السرير بملابسه  
وهو يغفم :

— هنيئا لك يا فكرى .

وراحت مشاهد المراقبة تتابع في مخيلته ، وغفم فجأة :

— وهنيئا لى .

وراح يحاسب نفسه على الدافع له على تلك الغفمة ، فاقنع  
ذاته بأن ما من انسان الا ويرتاح الى الجمال ، وانها لسعادة ان تصفى  
الى جميلة او تتحدث اليها وانت نقى السريرة ، ستصبح زوجة

صديقه الحميم ، وستشرح روحه كلما سهر معهما أو التقى بهما ، وما أكثر الأوقات التي سيمضيها معهما ، فهو وفكرى قلما يفترقا . وانقضت الساعات وهو يستشعر رضا ، ومرت الليلة وهو هائم في رؤى عذاب ، تتخيل له سميحه وتمتزج بأسعد لحظات حياته وعجب لذلك الخيال الذي يصهر الأوهام في الحقيقة ويخرج منهما واقعا جديدا .

ووافت الساعة الرابعة ، ولم يبق على حضورها الا ساعة ، فراح يرتدى ثيابه ويتأنق ويبالغ في تأنقه ، وهمس في اغواره هامس : لماذا يرتدى ثيابه من الآن وامامة ساعة طويلة ؟ فأنبرى ذلك الصوت الذي يدافع دواما عن كل تصرفاته ويبررها يعلو على الهمس ويقول انها كانت كريمة في عرضها فليس من الدوق أن ندعها تنتظر . وعاد الهمس يوصوص : ألا تلهف على حضورها ؟ وارتفع صوت الدفاع يقول : اننى دائما ألهف على حضور أى صديق ، لهفتى على حضورها لا تختلف عن لهفتى على حضور فكرى عندما يواعدنى . وعاد الهمس يهمز : ولماذا كل هذا التأنق ؟ قميص جديد وكرفاته جديدة والبدلة أوصيت أكثر من مرة على ضرورة كيها واعادتها قبل الرابعة ؟ ألا يدل كل هذا على أنك تهتم بها أكثر مما ينبغى ؟ انها خطيبة فكرى .

وارتفع الصوت المدافع مزمجر أبان هذه الاتهامات لا تليق ، فما من امرىء الا ويبدل كل ما في طوقه ليكون مقبولا ، أنتزين المرأة وقد تبالغ في زينتها قبل خروجها لانها في قرارة نفسها تحس أن هذه

الزينة تجعل الرجال تشتهيها، وانها تحب أن تكون مشتهاة ؟ أبدا .  
انها تتأقق لانها لا تحب أن تكون قذى فى عيون الناس .

وارتدى جاكته وخرج ليفر بنفسه من نفسه التى يحلو لها  
دواما أن تضطهده وأن تحاسبه فى قسوة على كل بادرة تشتم منها رائحة دافع  
يشوب طهارته ظل من شك أو ريبة .

وظل فى الردهة غاديا ورائحا ، وخرج أكثر من مرة من باب الفندق  
بنظر وان كانت الساعة لم تواف بعد الخامسة . كان تواقا لحضورها  
يتمنى لو أنها تأتى قبل الميعاد . وعاد الى غرفة الاستقبال وجلس  
أمام التليفزيون ، كان المذيع يقرأ النشرة الجوية ، وهو جالس الى  
المكتب وأمامه صحيفة ينظر فيها ، وتسرب الملل سريعا الى نفس  
همام ، فقام يعاود ذرع الردهة فى غدو ورواح والخروج الى باب  
الفندق يترصد الطريق .

ولمح سيارتها الفولكس فاجن قادمة من بعيد ، فخفف مسرعا الى  
غرفة الاستقبال خافق القلب وجلس فى كرسى واسع وتظاهر بأنه  
ينتظر فى هدوء ، وأن كانت مشاعره كلها بدأت فى النبض وزاد  
خفقانها وراح فى سبات ذلك الهمس الذى اعتاد أن يهمزه ويعذبه  
كلما تحرك فيه شعور يشوبه ظل من شك أو ريبة ، ونام نوما عميقا .  
وأحس دنوها وملأ عبرها أنفه فسرت فى بدنه رعدة خفية ، ومس  
صوتها أذنيه قالت :

— السلام عليكم .

وهب واقفا وهو يقول :

ـ وعليكم السلام .

وصافحها وقد انجذب بكل حواسه الى عينيها ، ولم يستطع ان يطيل النظر فيهما فراح يصعد الطرف فيها وبفضه ، لم يكن وحده الذى تأنق استعدادا لهذه المقابلة فقد بدت فى أروع زينة ، وحسد نفسه فى أعماقه انه سيكون الى جوارها ساعات يحادثها ويصغى اليها .

واشار الى مقعد امامه وقال :

ـ تفضلى .

فقالته وهى تبسم :

ـ من الأفضل ان نذهب الآن قبل ان تغلق السوق .

وتحركت خارجة وهو فى أثرها يتفحص مفاتها حتى اذا ما بلغا السيارة أسرع يفتح لها بابها وقد انحنى انحناء خفيفة ، ومالت لتدخل واذا بعينيها تسرعان بالنظر الى ساقها .

وأغلق الباب خلفها فى رفق ثم دار واندس الى جوارها وهو سعيد . وانسابت السيارة فى طريق الكورنيش حتى اذا بلغت تمثالا صغيرا من البرنز يمثل فتاة عازية ، ناهدة الصدر وخلفها غزال فى وسط نافورة ، اطال النظر الى التمثال ثم قال :

ـ تمثال جميل ، لا أدرى أيهما الغزال .

فقالته سميحه دون أن تنظر :

ـ لا يطلق هنا على هذا الذى تراه اسم « الغزال » ، بل يقال له « الودان » والفرق بين الغزال والودان أن الودان له عدة قرون .



فقال وهو يتسّم :

— الآن فهمت لماذا اطلق الودان على الفندق الذى انزل فيه .

وصمّت ليتلذذ بالاحساسات الجميلة التى تدغدغ كل حواسه ،  
وغمرته النشوة حتى انه لم يستطع ان يستقر فى مقعده دون حركة ،  
فراح ينظر الى البحر ويهتف :

— رائع .

كان البحر هادئا ساكنا والشمس تعيل نحو الغروب ، والمنظر  
عادى مألوف لا ينتزع الاعجاب ولكن كانت الروعة تنبعث من نفسه .  
وقالت سميحه :

— سندع السيارة فى شارع الاستقلال ثم ندور فى السوق  
على اقدامنا ، شارع الاستقلال وشارع عمر المختار وشارع ٢٤  
ديسمبر هى اهم الشوارع التجارية فى طرابلس وهى فى منطقة واحدة ،  
تنبع من مبدان الشهداء .

فقال وهو ينظر اليها :

— جميل .

ووقفت السيارة فى شارع جانبي وهبطا منها ، وسارا جنبا  
الى جنب وهو مغمم بالنشوة ، والتفتت اليه وقالت :

— خاطب ؟ .

فقال وهو يتنهد :

— ياليت .

— لو كنت خاطبا لعاونتك على شراء اشياء جميلة تسر خطيبتك.  
هنا روائح فاخرة وملابس داخلية جميلة ، ولكن لا بأس ساعاونك  
على انتقاء هدايا صديقتك .

فقال وهو يدنو منها ويلمس كتفه كتفها :

— ليس لى صديقة .

ونظرت فى عينيه وقالت :

— لا اصدق ان شابا فى مثل سنك ليست له صديقة ؟ أتخجل

منى ؟ .

— لو كانت لى صديقة ما أنكرت .

واتجها الى واجهة أحد المحال ووقفا ينظران ، كانت اغلب  
المعروضات من ايطاليا واطال النظر الى قميص ابيض مخطط بخطوط  
زرقاء رفيعة ثم التفت اليها وقال :

— ما رأيك فى هذا القميص ؟ .

— اذا كنت ترغب فى شراء قمصان فصاحب أشهر محل

للقمصان فى طرابلس صديقى .. تعال .

ورنت كلمة « صديقى » فى أذنه رنة غريبة ، وعكرت صفاءه  
ولكن سرعان ما تبخرت سحابة الكدر التى غامت بها نفسه وعاد الى  
بهجته وانشراحه وانطلقا الى دكان فاخر ، ولما رأى صاحبها سميحه  
هش لها ورحب بها وسألته أحسن ما عنده من قمصان ، وقال همام:  
— وكرفتات .

وانتقت له بعض قمصان وكرفتات ، وأعجبه ذوقها فقال لها :  
— رائع .

فقلت وهى تبسم :

— عندى خبرة فى أذواق الرجال :

وهمس فى جوفه سؤال « من أين أنتها هذه الخبرة يا ترى ؟ »

ولكن ما أسرع أن غمرته أمواج غبطته ، وقالت له :

— أتريد أقمشة صوفية ؟ هنا أقمشة انجليزية جيدة .

فقال لها وقد أشرقت ملامحه بمشاعر نبيلة :

— أريد أن اشتري شالا أسود من الصوف لأمى .

وصمت قليلا ثم قال :

— انها كل ما لى فى هذا الوجود .

وخرجا يجوسان خلال السوق ، وقالت له :

— أمن أجل أمك لم تتزوج ؟

— نعم .

— كنت أوافقك على تكريس حياتك لها لو كنت قد اتخذت لك

صديقة ، أما أن تعيش راهبا فهذا شيء شديد الوطأة .

فقال فى حماسة :

— لو وثقت من أن التى سأزوجها سترعى أمى وتعمل على

إسعادها ما ترددت لحظة فى الزواج .

— أعلم ذلك ، ولا أنصحك بالزواج الآن ، اتخذ لك صديقة .

وأذهله رأيها الجرىء ، انها تتحدث عن الصداقة بين الرجل

والمرأة حديثا عاديا ، كأنما تتحدث عن شيء مألوف لا يخجل

ولا يخدش حياء العذارى ، انه اضطرب لما طلبت منه أن يتخذ له

صديقة واحتقن وجهه بالدم ، أما هى فلم تطرف لها عين ، ورد ذلك

الى انها تعيش عيشة الرجال وتشق طريقها معتمدة على نفسها بعيدة عن الاهل والرفاء ، انه هو وان كان رجلا على ابواب الثلاثين لا يستطيع ان يعيش بعيدا عن امه تلك المسنين الطويلة التي عاشتها وحدها .

واضيئت اضواء المدينة ، وراحا يضربان في جنباتها وهسو يستشعر انه يعيش في حلم جميل او عند منعطف من الطريق احس لمس يدها يده ، انه لا يدرى اكان ذلك عفوا ام انها تعمدت ذلك ، كل ما يدرية ان خدرا للذيذا سرا في اوصاله ، اسكر روحه وافعمها بالنشوة .

وانتها من طوافهما وعادا الى السيارة وقال لها وهو يفتح لها بابها :

— آسف ان كنت قد اتعبتك .

ورنت اليه بعينيها الواسعتين اللتين يدوب رقة من بريقهما وقالت :

— يا ليتك تتعبنى .

وأفترت شفتاها عن اللؤلؤ النضيد ومالت لتدخل السيارة واذا بعينيها تسرعان الى ساقها .

وعادا الى الفندق ، واسرع بالهبوط. وهو يحمل ما اشتراه ، ومد يده اليها يصافحها قبل ان ينصرف ، واذا بها تقول له :

— انت ضيفى يوم الأحد ، وستكون ضيفى من اول النهار .  
فقال فى فرح :

- شسكرا .
- سأمرك عليك فى الثامنة صباحا .
- ولم كل هذا التعب ؟ .
- فقالا وهى ترنو اليه رنوة زلزلة كيانه :
- احب ان تتعبنى .

وانطلقت وانساب الى غرفته وهو نشوان ، ووضع ما يحمل على النضد ، وخلق ثيابه وتمدد فى سريره وأطفأ النور فقد كان متلهفا الى ان يعيش معها بخياله ، ينعم بالمشاعر اللذيذة التى اقيظتها المقابلة السعيدة .

وهام فى عالم من الرؤى والاحلام ، وبدأ ذلك الصوت الزاجر الذى راح فى سبات يتحرك فى أعماقه ويفسد سعادته ، قال له فى تقرير : كانت تصرفاتك الليلة بعيدة عن الشرف والأمانة ، فهب الصوت المدافع يقول : اننى تصرفت تصرف الرجل النبيل . لم تبدر منى بادرة تنم عن سفالة ولم تخرج من بين شففى كلمة تخدش الحياء . فقال الصوت الزاجر ساخرا : يا للرياء . تصرفاتك النبيلة قد تخدع غيرى ، أنا لا أحاسبك على حركاتك بل على خلجات نفسك ، بأى حق كنت تتفرد فى ساقىها وتستهوى لو تمرر عليها يدك ، بأى حق كدت تطير من النشوة لما لمست يدها يدك ؟ بأى حق راودتك فكرة ان تدعوها للعشاء معك لولا اننى عقلت لسانك ؟ فقال الصوت المدافع فى ضيق : من أنت ؟ فقال الصوت الزاجر : أنا ضمير . فصاح الصوت المدافع : أنت الذى تغفو عند الشدائد حتى اذا ما مرت بخيرها وشرها هببت كالمارد الجبار تلهينى بسياطك ، أنت لا خير

فيك ، انت لا تجيد الا التعذيب . فقال الضمير : أنا لا أففو أبدا ، أنا ملاكك الحارس ، لو تخليت عنك لحظة لترديت في الهاوى والظلمات. وصاح الصوت المدافع : كذاب . وقال الضمير في انفعال : انت نذل .. نذل .. نذل ..

وراح همام يتقلب في الفراش في الم ، كان متلهفا على أن ينفرد بنفسه ويطفئ النور ليعيش معها في الدنيا البهيجة التي ينسجها خياله واذا بذلك الذي يفسد عليه لحظات صفوه يقتحم عليه خلوته ويشنها حربا لا هوادة فيها ولا رحمة ، انه لا يكتفى بتقريره بل يأمره الا يذهب معها يوم الأحد ، يا للسخرية أمن الكياسة وحسن الذوق ان يفر من خطيبة صديقه الحميم التي تدعوه للاحتفال به اكراما لصديقه . انه سيذهب ولو أفضب ذلك المجنون الذي لا يحسن الظن بالناس .

وجاء يوم الأحد ووافت الساعة الثامنة ، وأقبلت سميحة في سيارتها مشرقة كزهرة الربيع ، وزاد في فتنتها أنها كانت ترتدى ثوبا بسيطا من ثياب الصباح وتغطي مؤخرة رأسها بمنديل كبير من الحرير المزين بأزهار وورود ، لفته حول عنقها .

وخف همام يصافحها في شوق وترحيب ، وركب الى جوارها وانطلقت السيارة الى الليدو . انه كازينو على الشاطئ امتدت على جانبيه « كباين » تضمها بناية من طبقتين ، في نهايتها انتشرت بعض عشش متواضعة ، وقوارب صغيرة .

ووقفت السيارة في فضاء على يسار الطريق وهبطا منها وقد حملت سميحة حقيبة كبيرة من القماش المخطط ، وخف همام اليها

وتناولها منها ، وسارا حتى بلغا بضع درجات صعدا فيها فوجدا ردهة بها بضع مناوئد ، كل منضدة تمثل ملعبا لكرة القدم ، صف فيه اللاعبين فى قضبان تنتهى بمقابض خشبية يحركها المتبارى ، كان حارس المرمى فى قضيب وحده ، له مقبض خشبى يحركه وكان الظهيران فى قضيب آخر أمام حارس المرمى وهكذا اصطف الفريقان وجها لوجه ووضعت الكرة بينهما .

والتفتت سميحه الى همام وقالت :

— أتحب أن تلعب ؟ .

والتفت عيناه بعينيها وقال :

— أخشى أن أهزم .

فقالت وهى تضحك :

— هذا امر مفروغ منه .

وضحك مرحا وتقدما الى نضد خال ، وقالت :

انا الفريق الأحمر ، وأنت الفريق الأخضر .

ووضعت الكرة أمام الفريق الأحمر وحركت سميحه المقبض الذى يحرك خط هجومها كله حركة تسمح بضرب الكرة ويحركه يمينا أو شمالا بالنسبة لجانبى الملعب ، أو أماما أو خلفا بالنسبة للقضيب المثبت فيه .

وبدأت المباراة وارتفعت ضحكات سميحه وصيحاتها وكلمات أصابت مرماه هلت كالأطفال ، وأصابت مرماه ثلاث مرات ، وعزم

في قرارة نفسه على ألا يهزم أبدا وبذل كل جهده ليفوز ونجح في ان بصيب مرماها مرة ثم مرة ثانية وأشرق في نفسه الأمل ، ولكنها أصابت مرماه اصابة رابعة ثم اصابة خامسة وتوقفت فجأة عن اللعب وقالت في مرج :

— الأحمر يكسب .

وأخذته من يده وسارت بضع خطوات ثم عرجت به الى درج جانبي وصعدت فيه وهو معها مسلوب الإرادة .

ووصلا الى الطبقة العليا واتكأت بمرفقيها على الترابزين ومدت بصرها الى البحر وقالت :

— المياه هادئة اليوم ، والشاطئ بديع ، هات الحقيبة .

ورفع اليها الحقيبة فأسندتها على الترابزين وفتحها وأخرجت منها مايوه احمر نحته جانبا ، ثم أخرجت مايوه آخر ودفعتها الى همام وقالت :

— خذ هذا ؟ .

وتناول همام المايوه في ارتباك ، وحملت الحقيبة والمايوه الاحمر ودخلت « كابينة » خلفها ونظرت الى همام وقالت وهى تغلق الباب في دلال :

— عن اذنك لحظة واحدة .

وخفق قلب همام في شدة ، وجف حلقه وراودته فكرة أن يفر ولكنه جبن عن أن يفعل ذلك ووقف مستسلما وهو يرجو في اعماقه ألا تتطور العلاقات بينه وبينها الى أكثر مما بلغته .



وفتح الباب عنها ، كانت آية من آيات الجمال ، وبدت في المايوه الأحمر فنتة طاغية ، ودار رأس همام ، وقال دون وعى منه :  
- رائعة .

واحتقن وجهه بالدم ، كيف افلنت الكلمة من شفثيه ، وخنى أن يكون تجاوز حده ، ولكن البسمة التي توجت شفثيها اسكنت الطمأنينة قلبه ، وقالت راضية :  
- متشكره .

واشارت بيدها الى الكابينة :  
- تفضل .

وتقدم مضطربا وزاد قلقه لما مر بها واضطر الى ان يلمس كتفه كتفها العارى ، وهو في طريقه الى الداخل ، فقد سدت بجسمها نصف الباب ، واحس انها تعمدت ان تميل نحوه لما مر بجوارها . ووقف في وسط الكابينة ينظر اليها في بلاهة ، انه يريد أن يفلق الباب وهي واقفة عند عتبته ترقبه ، ورات ما هو فيه من حيرة ، فضحكت في مرج وقالت :

- لا تخف . سأغلق الباب خلفك .

ومدت يدها وجذبت الباب واغلقتة عليه ، واتجهت الى الترايزين تتسلى بمشاهدة المصطافين .

وفتح الباب وخرج ، كان يمتاز بجسم رياضى متناسق يختفى تحت ثيابه ، ودارت على عقبيها ونظرت لما رأته قالت :  
- رائع .

وابتسم في ارتباك ولم يحر جوابا . ودنت منه وسارت معه كتفه

الى كتفها وراحا يهبطان الدرج وفي يدها دفان لا يدري ماذا ستفعل بهما .

ووصلا الى الشاطئء ودفعت اليه بدف فتناوله في حيرة ونظر اليها في استفسار فاذا بها تخرج كرة صغيرة وتضربها بعيدا بالدف، ففطن الى أن الدفوف على شواطئ طرابلس تستعمل عوضا عن المضارب الخشبية .

وراح يعدو وراء الكرة حتى لحق بها وتناولها وضربها بدفه فلما وصلت اليها ضربتها بدفها ، وظلا يلعبان وصوت ارتطام الكرة بالدفوف يجلجل بالمكان ، ولم يجذب ذلك الصوت أنظار أحد ، فقد كان شيئا مألوفا .

وانتهيا من اللعب وجلسا على الرمال فاذا بها تستلقى على وجهها وهي تحادثه وترفع ساقا ثم تخفضها لترفع الساق النانية، ومرت بهما بعض فتيات جميلات في ثياب البحر ، فقالت - أجسام الايطاليات متناسقة جميلة ، فياضة بالانوثة .

فقال في حماسة :

- أنت أجمل أنثى هنا .

وفزع ، كيف نطق بهذا ، وأشاح بوجهه عنها في ندم ، وأحس انها انتصبت قائمة ، فانقبض صدره وضايقه احساسه بأنها ظنت انه يغازلها ، ليتها تعلم أنه كان يقرر حقيقة وأنه لم يقصد أبدا أن يخذش حياءها .

وسمع صوتها يمس أذنيه رقيقا وهي تقول :

— هيا نسبح .

وفى مثل ملح البصر تبخرت مخاوفه منتعشا ، وراحت تهزول الى البحر وهو يهرول فى أثرها ، والقت بنفسها فى الماء والقى بنفسه خلفها ، وغطست وغطس وعامت تحت الماء وجذبته من ساقه ودار حول نفسه دورة وجذبها من يدها ثم طفا على سطح الماء وهو يجذبها ، وخرج رأسهما من الماء وضحكا فى مرح وانطلاق ، وبسطة كفيها ثم أخذت تضرب الماء بهما فى قوة فى اتجاهه ، فارتطم الماء بصدرة ووجهه وأراد أن يتقى الماء فغطس وعام من تحتها ثم رفعها بكتفيه ، فارتفعت فى الهواء وهى تصرخ صراخا امتزج بضحكاتها ولفت ذراعيها حول عنقه حتى لا تسقط ، ولكنه فك ذراعيها بيديه ثم القى بها فى الماء وهو سعيد .

واستمر فى كر وفر ولعب وملامسة ومزاح حتى نال منهما التعب فخرجا من الماء وانطلقا الى الكابينة يبدلان ثيابهما .  
وركبا السيارة وقال لها :

— اشكر لك هذا اليوم الجميل .

— أنت ضيفى طوال اليوم ولم نبدا بعد .

وانطلقت السيارة حتى غادرت المدينة وانسابت فى طريق مرصوف على جانبيه اشجار الكافور ومزارع الزيتون وقد امتدت فيها انابيب تسقى التربة الحمراء بالرش ، وكانت اشجار الزيتون فى صفوف مستقيمة أشبه بصفوف الجنود وجعل يتسلى بالنظر الى الحقول ليهرب من المشاعر القوارة التى أخذت تغلي فى جوفه .

واستمرت مندفة دون توقف فقال لها :

— أسنعود برا الى الاسكندرية ؟ !

فقالته وهى تبسم :

— هل اشتقت الى مصر ؟ من سوء الحظ أن هذا الطريق لا يقودك

اليها ، ستجد نفسك لما تنته من قطعه فى تونس .

فقال لها وهو ينظر الى جمال تقاطيعها :

بـ سواء على أن أكون فى تونس أو فى مصر أو فى ليبيا مادمت

ضيفك .

والتفتت اليه فالتفت ذراعه الى جواره فتناولتها ولفتها حول

ظهرها وقالت :

— خذ راحتك . الطريق طويل .

ودغدغت حواسه مشاعر رقيقة استكان لها وعبثت أصابعه فى

كتفها فانسكبت نشوة معريدة فى وجدانه ، وقال :

— الى أين نحن ذاهبان .

— الى حيث نتناول غداءنا ونمضى بقية يومنا .

وقرأ لافتة على الطريق كتب عليها « زرزور » ، فقال :

— لقد تركنا « الزاوية » وبلغنا « زرزور » !

— أهذا لقد وصلنا .

وقطعت بضعة كيلومترات ثم عرجت فى طريق الى اليسار على

جانبه أشجار الكافور ، كان من التربة الحمراء ولكنه كان شديد

التماسك من كثرة مرور السيارات فوقه ، ولاح على البعد بيت  
ابيض من طبقة واحدة ، فقالت :

— هذه هى الدار .

ووقفت السيارة امام الباب وهبطت منها وهبط ودلغا الى فناء  
واسع مبلط به بعض اشجار تركت الارض عارية حولها ، وسارا الى  
باب فى حاجز من زجاج واخترقاه فالفيا نفسيهما فى ردهة واسعة  
فرشت بالطنافس الغالية ، وتكدست فيها المقاعد الوثيرة والتحف  
الفنية حتى ان العين لم تعد تميز منها شيئا من كثرتها ، وزينت  
الحيطان بلوحات من ايطاليا ، واخترقا الردهة حتى وصلا الى غرفة  
الاستقبال التى فرشت بسجاجيد عجمية فاخرة وأطقم من الذهب  
وانتشرت التماثيل الفاخرة فى كل مكان .

وجلسا فى مقعدين متجاورين واضطجعت فى مقعدها وقالت :

— هل تعبت ؟ .

فقال وهو يجول بعينه فى المكان :

— ليت كان كل التعب مثل هذا ؟ .

— اتحب ان تستريح قليلا ثم تتناول الغداء ؟ .

— كما تشائين .

ودقت جرسا فاقبل خادم أسود ، فقالت له :

— أين على ؟ .

فقال الخادم فى أدب :

— فى غرفة السفره .

فقال وهى تشير براسها :

— « ضبع له » .

وانصرف الخادم والتفت همام اليها وقال :

— لم افهم ماذا قلت .

— قلت « ضبع له » اى ناده ، وما اكثر الكلمات المستعملة فى

طرابلس والى لا يعرفها اهل برقه .

واقبل على وهو شاب اسمر ووقف امامها فى احترام ، فامرته

ان يذهب بهمام الى غرفة النوم وان يعطيه بيجاما .

وسار همام مع الخادم حتى وصل الى غرفة كل ستائرها من

المخمل الاحمر فى وسطها سرير من خشب الورد غطى بمفرش من

الحرير الاحمر . وعن يسار السرير صوان من نفس خشب السرير

وفى الغرفة مقعد طويل وتسريحة فاخرة صفت فوقها انواع من

العطور النادرة .

وقدم الخادم اليه بيجاما من الحرير وانصرف ، فراح يخلع

ثيابه وهو يتلفت فى حيرة ثم تمدد فى المقعد الطويل يستريح ويشرد

مفكرا فيما هو فيه ، انه يكاد ينكر نفسه ، لا يصدق واقعه ، وقد

خيل اليه اكثر من مرة انه يحلم .

واقبلت فى روب منزلى من الحرير فى زرقاء السماء تزينه ورود

حمراء كبيرة ، كان رائعا على الرغم من تناثر الوانه ، وحاول ان

ينهض ولكنها وضعت يدها على صدره وقالت :

— خذ راحتك .

ثم جلست على الأرض ودنا رأسها من رأسه . انه يحس أنفاسها تلمح وجهه وان ذلك البريق المنبعث من عينيها يزلزل كيانه ، ويوقظ الفول الكامن في أعماقه ، انه يشتهي ان يضمها الى صدره ويمطرها بقبلاته .

واراد أن يفر من المشاعر المدمرة التي بدأت تعصف به ، فقال :  
— بيت من هذا ؟ .

فقالت وهي تمرر يدها على شعره :

— بيت صديق من أصدقائي ، وقلما يستعمله .

ونفضت في دلال أضرمت النار المتأججة في أحشائه ، وهم بأن يلف ذراعيه حول خصرها النحيل ويعصرها عصرا ولكنه كبج في جهد تلك الرغبة المشتعلة ، ورنّت اليه وقالت :  
— هيا ، لقد أعد الغداء .

ونفض وسار الى جوارها الى غرفة السفرة ، وجاء الخاد في الطبق العميق الذي أمامه شربة حمراء فلما تناوا  
— أوه .. كلها شطه .

فقالت وهي تضحك :

— ولكنها لذيدة .. انها شربة ليبيه .

وانتهيا من غدائهما بعد ساعة كاملة ، وذهب الى غرفة النوم وتمدد في الكرسي الطويل وراح في سبات ولما قام من نومه وجدها بقميص النوم ممدودة على السرير في نفس الغرفة .

ووقف ينظر اليها خافق القلب مبهور النفس تراوده أفكار خبيثة،  
وكاد أن يميل عليها ويضع شفثيه على شفثيها ويطفئ النيران المتلظية  
في حشاياه ، ولكنه جاهد نفسه جهادا كلفه جهدا ثم دار على عقبه  
وخرج من الغرفة لا يلوى على شيء ، وان كانت كل خلجة فيه  
تنتفض .

وذهب الى غرفة الاستقبال وهو محموم ، يرتجف من رأسه  
الى أخمص القدم ، وراح شيطانه يغريه بأن يعود اليها ينهل من  
عذب رحيقها حتى يطفئ ظمأ روحه ، ويوسوس له أن يعب الكأس  
الشهية الفياضة بالنشوة ، المترتبة لمن يشربها .

وهب واقفا وهو يضطرب ، وراح يذرع الغرفة جيئة وذهوبا  
وقد كاد يغيب عن وعيه ويدخل في شبه غيبوبة ، واستقر رايه أخيرا  
على أن يذهب الى غرفة النوم يحضر ثيابه ثم يفر من الخزي الذي  
يترقبه ، انه لو سمح لنفسه أن يخضون فكري فلن يعسرف طعم  
الراحة أبدا .

وعاد الى الغرفة ورأسه يدوي ، وقلبه يدق في شدة ، وضميره  
يلهبه بسياط عذابه ، ودنا من سريرها فسرت في بدنه رعدة  
واستشعر أن روحه ورأسه خواء ، ونظر اليها بعيون زائغة لم تكن  
نائمة بل كانت تحديق فيه بعينيها الواسعتين اللتين لا يعرف لهما  
قرارا ، وكانتا زاخرتين بنداء واه رقيق ذك في لحظة كل حصون  
مقاومته ، فانهار على صدرها وراح يقبلها في وله وسعار .

وأرخی الليل سدوله ، وتقضى بكل ما يحمل في جوفه من  
أسرار ، وقبيل الفجر قام من نومه فوجدها في السرير الى جواره ،



فهب مرعوبا . يستشعر نحوها مقتا شديدا ، وراودته فكرة ان يضربها ويصففها ويلطمها ويركلها ويمزق شعرها ويبصق في وجهها لينفـس عن الكراهية الهائلة التى يضيق بها صدره ، فقد أصبح يحقرها ويحتقر ذاته ، ولو كان من يقدمون على ارتكاب الجرائم لقتلها وقتل نفسه .

وذهب الى الصوان وهو حائق ينثـف فى صوت مسموع سموم نفسه ، وخلع البيجاما وألقاها بعيدا ، وارتدى ثيابه ونار تسرى فى جوفه وجفاف يكاد يخرط حلقه ، ووخر اليم يخز كل مراكز الاحساس فيه ، ومطارق هائلة تدق رأسه ، وعاصفة من اللوم والتقريع تهب عليه تكاد أن ترديه .

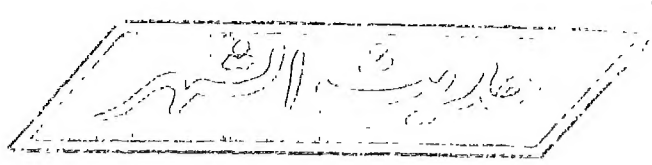
وراح يعدو حتى خرج الى الطريق ، ولفحت وجهه نسائم الفجر الطرية ، ولكنها عجزت عن أن ترطب روحه ، كانت النار تسرى فى كل جوانحه ، وقد أتت على كل مستودعات الطمأنينة والسكينة فيه .

وطفق يفكر فيما يفعله ، أيعترف لفكرى بما كان بينه وبينها فى تلك الليلة الفاجرة المقيتة ؟ أيقول له ان سفيره الذى حمله أمانة صغيرة قد خانته ولم يرع الأمانة ؟ أجل لقد خنته ليلة ، ولكنها تخونه كل ليلة ، ولكن مالى ومالها ، لست مسئولا عن تصرفاتها ، ولكنى مسئول عن تصرفاتى انا قبل أغلى صديق .

صديق ؟ ! لقد انتهت الصداقة البريئة النقية التى كانت بينى وبينه ، أنا الذى دنسناها ، دنسناها الى الأبد ، سيظل شبوحها بينى وبينه ، سواء اعترفت له بذلك التى أم طويت سرى البغيض بين جنبى . أنا نذل .. نذل .. نذل .

وأخذ يعدو ليفر من الصوت الذي يرن في أعماقه ، ولكن الصوت  
كان يزداد علواً ، وأخفى أذنيه بيديه دون جدوى ، وترنح وكاد  
يسقط أعياءاً ، وإذا بسيارة تقف الى جواره ويدعوه صاحبها  
للركوب .

وركب ساهما ، وباح صوت السيارة وزفير الريح وخفقان  
قلبه وكل ما يحسه في الوجود يهتف به : ندل .. ندل .. ندل .  
وأطرق وطفرت الدموع من مآقيه ، ولكنها عجزت عن أن تظهر  
الاثم الذي ارتكبه ، أو تطفى النار المتلظية بين الضلوع . -



## الأدب والسينما

### عزیزى القارىء

في هذا العام ستشاهد في السينما ما سبق أن قرأت لكتابنا الكبار من روائع . فقد حولت دعاء الكروان للدكتور طه حسين إلى فيلم أخرجه بركات وقامت بالدور الأول فيه فائق حمامة كما شرع في إنتاج قصة الرباط المقدس لتوفيق الحكيم . وساره للعقاد ، وبين القصيرين لنجيب محفوظ ، وسلك من شعاع لعادل كامل إلى جانب قصص احسان عبد القدوس وأمين يوسف غراب وعبد الحليم عبد الله .

ولا شك في أن ذلك هو الاتجاه السليم للسينما العربية لأنه يكون لنا رصيدها من الأفلام يمكن أن يعبر عن حقيقتنا بعد أن استخدمنا الأفلام التي نعودت أن تشوه واقعنا وتفترى عليه وبمعكس لنا صورا لانتسابها في شيء .

والأفلام لم تعد مجرد وسائل للتسلية وقطع الوقت ولكنها أصبحت - بالإضافة لذلك - أحد الوجوه المعبرة عن الشعوب وعن حياتها ونهضتها ونفادها ، فالشعوب كانت تتعارف من خلال آدابها وفنونها وقد أصبحت الأفلام من أوسع وسائل النشر في العالم للفنون والآداب .

ولقد ظلمتنا أفلامنا فيما مضى . فقد كانت وجهها بسوء التعبير عنا . ونأمل أن نعوضنا عن أساءتها خيرا بعد أن بدأ تعاون الفئتين فيها مع أدبنا الحقيقي .

يوسف السباعي

## استمتع بقراءة هذه الكتب في هذا الشهر

١٢٥

مترجم باشراف دكتور مصطفى سويرف ودكتور السيد خيرى	سيكولوجية الفسوق بين الافراد والجماعات
١٥ : قصة بداها الرئيس جمال عبد الناصر	فى سبيل الحرية
٢٠ : بقلم عزيز أباطه	قافلة النور
٤٠ : بقلم الدكتور محمد حسين هيكل	هكذا خلقت
٢٥ : تأليف هيربرت لورنس وترجمة عثمان نويه	أبناء وعشاق
٤٠ : بقلم احمد فتحي بهنس	الجرائم فى الفقه الاسلامى
٤٠ : بقلم الدكتور محمد يوسف موسى	الاسلام وحاجة الانسانية اليه
٢٥ : بقلم مسيد فرج	رسالة الى الجندي العربى
٤٠ : بقلم الدكتور حسين مؤنس	نور الدين محمود
٢٥ : بقلم نجيب الكيلانى	اقبال : الشاعر النائر
٢٥ : بقلم الدكتور مختار حمزة	مشكلات الآباء والأبناء
٢٥ : بقلم محمود تيمور	الى اللقاء أيها الحب

عن نادي القصة



سلسلة شهرية تصدر



اقروش